السـلاف فى شبه جزيرة البلقان

وجهود الامبراطورية البيزنطية لاسـترداد سيادتها

(٥٩١ ــ ١٠١٨م)

دكتور / وسام عبد العزيز فرج ــ جامعة المنصورة(*)

لاشك أن أهم تغيرأصاب التكوين البشرى لشبه جزيرة البلقان منذ العصر القديم يتمثل فى غزو القبائل السلافية لاقليم البلقان واستقرارها هنـاك (١) . ان الظروف التى صاحبت هذا الغزو والتسلسل التاريخى

(*) يسرنى أن أتقـدم بالشـكر للاسـتاذ الدكتور بول شـبيك Paul Speck أسـتاذ كرسى التاريخ البيزنطى ومدير معهد الدراسـات البيزنطية بجامعة برلين الحرة للتسهيلات العديدة التى قدمها حتى يخـرج هذا البحث فى أفضل صورة . كما أتقدم بالشكر أيضا لمؤسسة الكسـندر فون همبولدت Alexander Von Humboldt التى تولت الانفـاق على مهمتى العلمية فى جمهورية المانيـا الاتحـادية خلال العام الجامعى ٨٣ / ١٩٨٤ .

(١) أدى اضمحلال البناء الضخم الذى أقامه الهون Huns بعد وفاة أتيلا Attila سنة ٤٥٣م الى تغير ميزان القوى فى الأقاليم المواقعـة الى الشمال من حدود الامبراطورية البيزنطية فى البلقان . وأدى انهيار دولة الهون الى ظهور قبائل متبربرة عديدة كانت قد خضعت فى الماضى لحـكم الهون ، من بينها القبائل السلافية . ومن غير المعروف على وجه الدقة موطن السلاف الأول ، فالمصادر لاتقدم الكثير ، ولكن من المرجح أن القبائل السلافية كانت تقطن مساحة كبيرة من السهل الأوربى الشرقى الى الشمال من جبـال الكروات . وحتى الآن لاتزال الأسباب التى دفعت السلاف الى الهجـرة جنوبا والظروف التى صاحبت ظهورهم المفاجىء على طول الضفة الشـمالية لنهر الدانوب فى مطلع القرن السادس الميلادى غير معروفة . ومن المحتمل أنه فى أعقاب وفاة أتيلا واضمحلال دولته ، تحركت الأقوام التى خضـعت للهون سعيا وراء المراعى وأخذت تضغط على غيرها من الأقوام مما دفع =

لقيام المستوطنات السلافية فى البلقان لايزال رغم كل ماكتب عن هذا الموضوع مسألة تثير الحيرة • والسبب فى ذلك يرجع الى قلة ما ورد فى المصادر التاريخية من ناحية ، كما أن التسلسل التاريخى للاحداث لايزال غير واضح من ناحية أخرى • وان عدم وضوح التسلسل التاريخى للاحداث يظهر جليا فى المصدر المعروف « بمعجزات القديس ديمترى » Miracula Sancti Demetri ، الذى يعتبر أهم مصدر لدينا عن استقرار السلاف فى شبه جزيرة البلقان[٢] . ولقد تناول عدد من المؤرخين المحدثين هذا المصدر بالدراسة ، الا أن الدراسات التى خرجوا بها فى النهاية عادت لتؤكد حيرة الباحث ، لأن هذه الدراسات قدمت تصورات مختلفة لتسلسل الأحداث ولم تحسم القضية[٣] •

=

بالسلاف الى الاتجاه شطر نهر الدانوب . وتطلع السلاف بعد ذلك الى عبور النهر الذى كان شطر نهر الدانوب . وتطلع السلاف بعد ذلك الى عبور على أية حال ، فى النصف الثانى من القرن السادس يتقشع الظلام وتبدأ المصادر تاريخية فى ذكر السلاف واغاراتهم على الممتلكات البيزنطية ثم استقرارهم فى الأقاليم البيزنطية فى شبه جزيرة البلقان . انظر :

Lemerle, Invasions, 281-295 ; Obolensky, Commonwealth, 42-43.

Miracula Sancti Demetri, AASS, 104-197;

Miracula Sancti Demetri, PG, Cols 1174-1384.

وانظر أيضا الطبعة الجديدة لهذا المصدر والتعليق الذى قدم به الأستاذ بول لامرل لهذه الدراسة :

Lemerle, Anciens Recueils, 2 vols.

(٣) من هم الدراسات الحديثة التى تناولت المصدر المعروف « بمعجزات القديس دمترى » الدراسات التالية :

Laurent, Saint-Demetrius, 420-434; Delehaye, Recueils Antiques, 57-64; Lemerl, La Composition, 349-461; Burmov, Les Sièges de Thessalonique, 167-215; Barisic, Miracles de St. Démétrius.

على أية حال ، من المعروف أن أول ظهور للسلاف فى الامبراطورية البيزنطية حدث فى القرن السادس الميلادى[٤] فمنذ عهد الامبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٧ — ٥٦٥م) وحتى نهاية القرن السادس ، أخذ السلاف يغيرون على الأقاليم البيزنطية فى شبه جزيرة البلقان • وحتى بداية عهد الإمبراطور موريس Maurice (٥٨٢ — ٦٠٢م) لم يحاول السلاف الاستقرار هناك • وشهدت الفترة الممتدة من سنة ٥٧٩ وحتى سنة ٥٨٧م أعنف اغارات قامت بها هذه القبائل المتبربرة على الممتلكات البيزنطية فى البلقان وعلى الرغم من أن الآفار Avars تولوا قيادة وتوجيه تلك الاغارات ، الا أن السلاف شكلوا أغلبية هـذه العناصر المتبربرة التى أغارت على البلقان • لقد جاء السلاف فى اعداد ضخمة فى وقت انشغلت فيه الجيوش البيزنطية بقتال الفرس على الجبهة الشرقية ، وهاجموا مناطق عديدة فى البلقان • لقد أغاروا على اليريا Illyricum وتراقيا Thrace وتوغلوا جنوبا الى اقاليم اليونان وشبه جزيرة البلوبونيز ، وساعدوا الافار فى اجتياح العديد من المراكز البيزنطية ، وفى سنة ٥٨٦م ألقوا الحصـار على مدينة سـالونيكا Thessalonica وكان هذا هو الحصار الأول لهذه المدينة التى كان مقدرا لها أن تشهد سلسلة من هجمات السلاف[٥] •

---

4) Dvornik, **The Slavs**, 34, ff.

5) Grégoire, **L'Origine**, 88-118; Lemerle, **Invasions**, 281-282; Hauptmann, **Les Slaves et les Avares**, 137-170, Burmov, **Les Sièges de Thessalonique**, 167-215.

بالنسبة للحصار الأول لمدينة سالونيكا من قبل السلاف والآفار تذكر المصادر فقط انه حدث يوم الأحد ٢٢ سبتمبر فى عهد الامبراطور موريس ، انظر :

Miracula Sancti Demetri, PG, Col. 1288.

وعلى هذا فان السنة التى حدث فيها هذا الحصار لابد وان تكون اما سـنة ٥٨٦م أو سنة ٥٩٧م ، ففى هاتين السنتين فقط خلال عهد الامبراطور

وجدير بالذكر أن السلاف على خلاف الآفار لم يجيئوا للسلب والنهب فقط ، لقد جاءوا ليستقروا فى الممتلكات البيزنطية فى شبه جزيرة البلقان • فقد كتب يوحنا الافسوسى John of Ephesus الذى عاصر تلك الأحداث قائلا :

« لايزال السلاف يعسكرون ويقطنون اقاليم الامبراطورية فى البلقان حيث يعيشون هناك فى سلام بعيدا عن القلق والخوف »[٦] •

أدركت الحكومة البيزنطية خطورة الموقف فى البلقان ، فما أن انتهى الامبراطور موريس من الحرب الفارسية حتى بدأ هجوما مضادا ضد الآفار سنة ٥٩١م • وكان للعمليات العسكرية التى وجهها الامبراطور ضد الآفار أثر كبير فى وقف غارات الآفار المتكررة على القسم الأوربى من الامبراطورية فى البلقان • ويبدو أن الآفار أخذوا ابتداء من ذلك الوقت يتطلعون للغرب ، وقاموا بالفعل بتحويل اغاراتهم فى اتجاه الغرب وراء حدود الاقاليم البيزنطية• ان اتفاقية السلام التى عقدتها بيزنطة معهم حوالى سنة ٦٠١م حددت نهر الدانوب كحد فاصل بين القوتين ، الا أن هذه الاتفاقية تركت الباب مفتوحا أمام الادارة العسكرية البيزنطية لعبور النهر شمالا لمطاردة أية جماعة من جماعات السلاف تهدد المصالح البيزنطية[٧] • ومن غير المعروف على وجه الدقة أثر للعمليات العسكرية البيزنطية التى وجهها الامبراطور موريس ابتداء من سنة ٥٩١ على السلاف • فليس هناك مايشير الى أن السلاف الذين غزوا البلقان قد عادوا الى مواطنهم شمال نهر الدانوب •

موريس كان يوم ٢٢ سبتمبر يوافق يوم أحد . واذا اخذنا فى الاعتبار الاماكن التى تواجد فيها الآفار سنة ٥٩٧م ، فسيتضح لنا أن الآفار كانوا بعيدين عن سالونيكا ولم يحاصروها . وعلى هذا فان سنة ٥٨٦ هى فى الغالب السنة التى وقع فيها الحصار الأول لمدينة سالونيكا . انظر :

Charanis, **Capture of Corinth**, 347; Barisic, **Miracles de St. Démétrius**, 60-64.

6) **John of Ephesus (Smith)**, 432.

7) Hauptmann, **Les Slaves et les Avares**, 168-169.

ومن المرجح أن استقرار السلاف فى شبه جزيرة البلقان قد حدث فى مطلع القرن السابع الميلادى خلال العهد المضطرب للامبراطور فوقاس (٦٠٢ — ٦١٠) والسنوات الأولى من عهد الامبراطور هرقل (٦١٠ — ٦٤١) بالنسبة لعهد الامبراطور فوقاس لا تشير المصادر بشكل واضح الى أية اغارات من قبل الآفار والسلاف على الممتلكات البيزنطية فى البلقان باستثناء تلك الاشارة التى وردت فى حولية ثيوفانس Thheophanes نقلا عن حولية ثيوفيلاكت سيموكاتا Theophylact Simocatta [٨] . ففى تلك الاشارة يتضح أن الآفار هاجموا الأقاليم البيزنطية مرة أخرى . أما بالنسبة لعهد الامبراطور هرقل فتشير المصادر الى اغارات السلاف بشكل أكثر تفصيلا وان كان التسلسل التاريخى مضطربا فى كثير من الأحيان . ويتضح من هذه المصادر أن السلاف قد توغلوا حتى وصلوا الى البحر الايجى . أكثر من هذا تشير المصادر الى قيام السلاف ببناء السفن والاغارة على سواحل تسالى Thessaly والجزر المحيطة بها [٩] . والمرجح أن هذه الأحداث وقعت حوالى سنة ٦١٤م [١٠] . وفى العام التالى أغار السلاف على الاقليم المحيط بمدينة سالونيكا ثم حاصروا هذه المدينة . ولكن المدينة صمدت للحصار مما دفع السلاف الى طلب العون من خان الآفار ، وحين جاء الآفار بعد ذلك بعامين تأكد للجميع صعوبة الاستيلاء على سالونيكا لمناعتها وبسالة أهلها .

ويعتقد بعض المؤرخين المحدثين أن السلاف الذين أغاروا على مدينة سالونيكا أكثر من مرة جاءوا من مناطق استيطانهم الجديدة فى البلقان وبالتحديد فى مقدونيا والاقليم المحيط بسالونيكا ، وانهم استقروا

8) **Theophanes, I, 290; Theophylactus Simocatta, 308.**

(٩) كذلك اغار السلاف على الاقليم الآخى Achaca ، وعلى ابيروس ، والليريا . انظر :

Miracula Sancti Demetri, PG, Cols. 1325 ff.
Tougard, **L'histoire Profane,** 118-126.

10) Barisic, **Miracles de St. Démétrius,** 149.

فى هذه الأقاليم فى الفترة الممتدة بين نهاية عهد الامبراطور موريس والسنوات الأولى لعهد الامبراطور هرقل[11] .

استقرت العناصر السلافية بأعداد كبيرة فى مناطق متعددة من شبه جزيرة البلقان وامتدت مناطق استيطانهم عبر اليونان جنوبا الى البلوبونيز لدرجة أن المناطق التى ظلت تحت الادارة المباشرة للامبراطورية كانت قليلة واقتصرت على : تراقيا ، مدينة سالونيكا ، أتيكا Attica شرق البلوبونيز ، جزر البحر الايجى ، بعض المراكز القليلة على ساحل البحر الادرياتى وجزر البحر الأيونى[12] . والمرجح أن استقرار السلاف باعداد كبيرة فى الأقاليم البيزنطية بالبلقان لم يؤد الى القضاء على السكان البيزنطيين الأصليين[13] .

كانت العمليات العسكرية التى وجهها الامبراطور موريس ضد الآفار والسلاف فى البلقان ناجحة ولكنها توقفت بسبب تمرد الجيش وثورته على الامبراطور ، وتبع ذلك اعتلاء الامبراطور فوقاس للعرش وبداية فترة اضطراب فى الداخل والخارج . ولا شك أن السلاف استغلوا هذه الفترة المضطربة وأخذوا يستقرون باعداد ضخمة وعلى نطاق واسع فى الأقاليم البيزنطية بالبلقان وبدت الادارة الامبراطورية عاجزة وغير قادرة على تحديد وجهتها . وحين اعتلى هرقل العرش ، كانت الامبراطورية منهكة مضطربة الأحوال ، وكانت المشكلة الرئيسية هى كيفية التصدى لخطر الفرس الذين استولوا على معظم أقاليم

---

11) Charanis, **Ethnic Changes**, 38.

12) Charanis, **Demography**, 455; Charanis, **Observations**, 15-16.

13) Charanis, **Ethnic Changes**, 41.

ويرجح بعض المؤرخين حدوث امتزاج سريع بين السلاف والسكان الأصليين ، ويستندون فى هذا الى وجود أسماء سلافية لبعض الأماكن فى أقاليم اليونان . للمزيد عن هذا الموضوع انظر :

Vasmer, **Die Slaven**, 11-19.

الامبراطورية الشرقية • ووجد هرقل نفسه مضطرا لخوض صراع طويل ومرير ضد الامبراطورية الفارسية • وما أن حقق الامبراطور النصر فى النهاية حتى ظهر خطر جديد من الشرق أيضا متمثلا فى العرب المسلمين •

وهكذا لم تكن الادارة البيزنطية منذ مطلع القرن السابع الميلادى فى موقف يسمح لها بالاهتمام بالبلقان • وفى النصف الثانى من القرن السابع كان الوقت قد تأخر لانقاذ شبه جزيرة البلقان من التغلغل السلافى • وكانت الحكومة البيزنطية تأمل فى نشر الحضارة البيزنطية بين العناصر السلافية المستقرة فى البلقان لتتصهر فى البوتقة البيزنطية (١٤) ولكن الحضارة البيزنطية لم تنتشر بسرعة بين السلاف فى البلقان وطوال الفترة الممتدة من مطلع القرن السابع وحتى أوائل القرن الحادى عشر ، احتفظ العديد من السلاف بهويتهم اللغوية(١٥) • والمعروف أن السلاف المستقرين فى البلقان كانوا عبارة عن عناصر بشرية غير منظمة تفتقر الى الوحدة والتنظيم السياسى ولم يكن لها مطامع سياسية • كذلك كان السلاف شعبا زراعيا مجتهدا عمل على تعمير الأرض التى استقر فيها • وفى ظل هذه الخصائص التى ميزت السلاف ، حرصت الادارة البيزنطية على ترويضهم واغرائهم لاعتناق الديانة المسيحية الأرثوذكسية بهدف استيعابهم فى الكيان الامبراطورى ولكن الجهود البيزنطية لم تحقق دائما النجاح السريع • ولعل السبب فى ذلك يرجع الى قيام البلغار بغزو شبه جزيرة البلقان(١٦) •

---

14) Bon, **Le Péloponnèse**, 27-70.

15) Doelger, **Einsiedlung**, 1-28; Geogracas, **Slavic Groups**, 301-333.

(١٦) البلغار عناصر تركية استقرت فى البداية فى المنطقة الواقعة شمال البحر الأسود وبحر قزوين ، وهناك خضعوا لسلطان الآفار الذين فرضوا سيادتهم على معظم العناصر المتبربرة المستقرة شمال البحر الاسود ، وذلك اثناء تقدمهم غربا تجاه الامبراطورية فى القرن السادس الميلادى • والمعروف أن سلطان الآفار فى البلقان بدأ مرحلة ضعف واضمحلال بعد فشل حصار =

قام البلقان حوالى سنة ٦٧٠م بعبور نهر الدانوب الى الاقليم الشمالى الشرقى من شبه جزيرة البلقان • وأدى ظهور البلغار بخصائصهم الحضارية الى اضعاف جهود الحكومة البيزنطية لاستيعاب العناصر السلافية فى الكيان الامبراطورى • ولو اقتصر الأمر على السلاف فقط لتغيرت الصورة وربما استطاعت الامبراطورية احتواء كل العناصر السلافية المستقرة فى البلقان بسرعة •

لقد كان فى امكان الامبراطورية البيزنطية من الناحية النظرية أن تدعى السيادة على العديد من الجماعات السلافية المستقرة فى البلقان بما فيهم قبائل الصرب فى الجزء الشمالى الغربى من شبه الجزيرة[١٧] • ولكن هذه السيادة فى الواقع كانت محدودة فى المناطق التى كانت السلطة الامبراطورية المركزية ملموسة • ويجب ألا ننسى أن هجمات البلغار على الأقاليم البيزنطية فى البلقان عملت على اضعاف هذه السلطة الامبراطورية • ويمكن القول أن البلغار الذين طوروا نظامهم السياسى والعسكرى منذ فترة طويلة قبل عبور نهر الدانوب قد استطاعوا بمرور الوقت أن يحققوا ما لم يحققه أى غزاة رحل لشبه جزيرة البلقان من قبل • لقد استطاعوا تحقيق كيان حضارى مستقل قادر على أن يكون — فى نظر الجماعات السلافية المستقرة فى البلقان — البديل للامبراطورية

القسطنطينية سنة ٦٢٦ . وهنا ثار البلغار ضد الآفار وأيدت الادارة البيزنطية البلغار فى صراعهم ضد الآفار فى أواخر عهد الامبراطور هرقل . وبسبب ضغط الخزر Khazars اضطر البلغار الى الهجرة غربا حتى وصلوا فى سنة ٦٧٠ الى دلتا نهر الدانوب . وهناك أخذ البلغار يتطلعون لعبور نهر الدانوب . للمزيد عن البلغار وأصلهم انظر :

Moravcsik, Byzantionturicica, I, 108-119.

وانظر أيضا :

وسام : **دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية** (الاسكندرية ١٩٨٢) جـ١ ص١٦٧ — ١٦٨ .

بالنسبة لأسباب فشل حصار الآفار للقسطنطينية سنة ٦٢٦ ، أنظر :

Barisic, Siège de Constantinople, 371-395.

17) Ostrogorsky, **Staatenhierarchie**, 41-61.

البيزنطية[١٨] • حقيقة لم تتم العلاقات بسرعة بين السلاف والبلغار ، ولكن ما أن نمت وتقدمت حتى ازدادت المصاعب فى وجه الادارة الامبراطورية من أجل احتواء العناصر السلافية داخل الكيان الامبراطورى •

لم ترحب الادارة البيزنطية بعبور البلغار لنهر الدانوب • فسياسة بيزنطة التقليدية تجاه البرابرة القاطنين المناطق الواقعة شمال نهر الدانوب هى الترحيب بصداقتهم واتخاذهم حلفاء • ولكن الحكومة البيزنطية عارضت دائما وتصدت لأية محاولة من جانبهم لعبور الدانوب • ولهذا قام الامبراطور قسطنطين الرابع (٦٦٨ ـ ٦٨٥) بحملة عسكرية قادها بنفسه ضد البلغار ، الا أن الحملة منيت بالفشل وانتصر البلغار • ولم تكن الامبراطورية البيزنطية فى موقف يسمح لها باستئناف القتال ، فقد أدى مرض الامبراطور الى انهيار الروح المعنوية للجيش فى أشد الأوقات حرجا • لقد جاء البلغار ليستقروا أيضا فى شبه جزيرة البلقان • واضطر الامبراطور قسطنطين الرابع الى عقد اتفاقية سلام مع خان البلغار أسباروخ Asbaruch سنة ٦٨١ • واعترف الامبراطور فى هذه الاتفاقية بوجود دولة بلغارية مستقلة فى البلقان[١٩] • ولم يتضح حجم الكارثة التى وقعت فى البداية ، لأن المنطقة التى استقر فيها البلغار كانت قد ضاعت من قبل حين استقرت فيها العناصر السلافية • ولكن مع حلول القرن الثامن الميلادى أصبحت بلغاريا خطرا كبيرا على الامبراطورية •

---

١٨) لقد كان البلغار أمة ذات حضارة تركت آثارا ونقوشا • واذا كانت هذه الآثار والنقوش لاتزال موضع نقاش وبحث المؤرخين ، فلا شك ان هذه الآثار تعطى للبلغار جذور حضارية لم يتمتع بها غيرهم من الأقوام التى غزت شبه جزيرة البلقان • فالبلغار على خلاف الهون والآفار لم يقيموا دولة اليوم لتنهار بعد قليل • للمزيد عن آثار ونقوش البلغار انظر :

Besevliev, **Inschriften**, 89-92.

للمزيد عن الهون والآفار انظر :

Moravcsik, **Byzantinoturica**, I, 57-65; 70-76.

19) **Theophanes**, I, 356-359; **Nicephorus**, 35.

إذا نظرنا الى خريطة للممتلكات البيزنطية فى القسم الأوربى من الامبراطورية سنة ٦٨١ ــ باستثناء ايطاليا وصقلية ــ ستتضح حقيقة هامة ، وهى الاختلاف الكبير بين ما تدعى الامبراطورية البيزنطية ملكيته وبين ماتمتلكه بالفعل [٢٠] . ففى ذلك الوقت كان للبلغار دولة مستقلة فى شمال شرق البلقان ، كما أن الصرب Serbs والكروات Croats كانت لهم أيضا دويلات شبه مستقلة فى الجزء الشمالى الغربى من البلقان وفى ذلك الوقت أيضا كان أسوأ ما فى هجرة السلاف جنوبا قد انتهى وانقشع الغبار عن البلقان ، وأصبح السلاف حقيقة فى كل مكان[٢١] . ويلاحظ أنه وسط هذه التجمعات السلافية وجدت أيضا تجمعات بيزنطية واستطاعت الصمود[٢٢] . ومن المرجح أن هذه المجتمعات البيزنطية فى البلقان كانت أكثر عددا فى اتجاه الجنوب ، وفى القسم الشرقى من البلوبونيز وفى جزر البحر الايجى . وكانت هذه المجتمعات البيزنطية كافية لتأكيد ادعاءات السيادة الامبراطورية هناك[٢٣] . كذلك كانت

---

20) Ostrogorsky, **World Order**, 1-14.

21) Vasmer, **Die Slaven**, 20-173; Charanis, **Slavonic Settlements**, 254-258.

22) Charanis, **Monemvasia**, 141-161.

(٢٣) كانت السلطة والادارة الامبراطورية موجودة بشكل أو باخر فى النصف الثانى للقرن السابع فى بعض اقاليم اليونان . فالمعروف ان الحكومة البيزنطية انشأت ثيم هلاس Hellas بين عامى ٦٨٧ و ٦٩٥ . وكان هذا الثيم يضم اقاليم فى شرق ووسط اليونان مثل اقليم اتيكا Attica واقليم تساليا Thessaly انظر :

Charanis, **Hellas**, 173-174.

كذلك كانت السلطة والادارة البيزنطية موجودة بشكل أو باخر فى القرن الثامن فى بعض مناطق شرق البلوبونيز ، بدليل اشارة المصادر البيزنطية لقيام الامبراطور قسطنطين الخامس فى سنة ٧٥٥ بتهجير عائلات بأكملها من جزر البحر الايجى ، ومن هلاس ، والبلوبونيز Peloponnesus الى مدينة القسطنطينية لتعميرها بعد أن فقدت عددا كبيرا من السكان خلال طاعون سنة ٧٤٦ / ٧٤٧م . انظر :

الامبراطورية البيزنطية تبسيطر على عدد من المدن والمراكز الحصينة مثل سالونيكا ، وكورنثا ومونمفازيا Monemvasia وباتراس Patras وكان الأسيطول البيزنطي بعد انسحاب العرب المسلمين من أمام القسطنطينية ورفعهم الحصار البحرى سنة ٦٧٨ ، قد استرد سيطرته على البحر الايجى .

حقيقة ان الغزو السلافى للبلقان قد دفع بعض السكان الأصليين الى الهجرة (٢٤) ، ولكن نسبة كبيرة من السكان صمدت . وبفضل هذه النسبة الطيبة من السكان البيزنطيين التي علونت الادارة البيزنطية كان مركز بيزنطة يتحسن تدريجيا فى البلقان . ولاشك أن المدينة البيزنطية الهامة فى شبه جزيرة البلقان ، التى انطلقت منها جهود الادارة الامبراطورية من أجل استرداد السيادة على البلقان كانت مدينة سالونيكا (٢٥) ، على الرغم من أن معظم الأقليم المحيط بالمدينة كانت تقطنه أعداد كبيرة من السلاف (٢٦) . وكان بقاء مدينة سالونيكا فى يد

Theophanes, I, 429.

على اية حال ، تم تأسيس ثيم مستقل فى البلوبونيز بعد ذلك . والمرجح أن ثيم البلوبونيز قد تأسس قبل سنة ٨٠٥م ، ففى هذا العام كان الثيم موجودا بالفعل بل وتعاقب على ادارته عدد من القادة العسكريين Strategoi للمزيد عن ثيمى هلاس والبلوبونيز ، أنظر :

De Thematibus, 170-173; Charanis, **Observations**, 4-11; Oikonomidès, **Préséance**, 350, 351.

(٢٤) ادى غزو السلاف لشبه جزيرة البلقان وتوغلهم جنوبا حتى البلوبونيز الى هجرة العديد من السكان البيزنطيين الأصليين من اقاليم اليونان والبلوبونيز فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الى جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا . أنظر :

Charanis, **Helenization**, 74-87, Charanis, **Slavonic Settlements**, 255.

(25) Charanis, **Ethnic Changes**, 41.

26) Charanis, **Ethnic Changes**, 38 ; Tapkova-Zaimova, **La Colonisation**, 113-115.

الادارة البيزنطية هاما للغاية فبدون هذه المدينة ، ذات الموقع الجغرافى الهام ، تصبح كل مشاريع الحكومة البيزنطية من أجل استرداد سيطرتها على اليونان والبلوبونيز صعبة التحقيق ان لم تكن مستحيلة • لقد كان فى امكان المراكز الحصينة مثل باتراس Patras ، ومونمفازيا Monemvasia فى شبه جزيرة البلوبونيز الصمود لهجمات السلاف رغم بعد وانعزال موقعهما • ولكن بدون مدينة سالونيكا كحلقة وصل ومركز امداد كان مصيرهما محتوما •

ولقد أدرك اعداء الابراطورية فى البلقان الأهمية الاستراتيجية لمدينة سالونيكا فحاول السلاف والآفار الاستيلاء عليها أكثر من مرة فى سنة ٥٨٦ وحوالى سنة ٦١٧[٣٧] • وتكررت محاولات السلاف ضد سالونيكا فى النصف الثانى من القرن السابع وفى القرن الثامن الميلادى بالتحالف مع البلغار[٣٨] •

وكان على الادارة البيزنطية التدخل فى البلقان من أجل انقاذ سالونيكا • ولقد جاء الوقت المناسب فى سنة ٦٥٧ / ٦٥٨ حين انتهز الامبراطور قنسطانز الثانى Constans II (٦٤١ — ٦٦٨) فرصة انشغال المسلمين بمشاكلهم الداخلية وقام بحملة ناجحة ضد السلاف فى شبه جزيرة البلقان[٣٩] • وكانت هذه الحملة هى أول هجوم عسكرى

---

(٢٧) انظر حاشية رقم (٥) فيما سبق ، وانظر ايضا :

Charanis, **Ethnic Changes**, 37-38.

(٢٨) عن نشاط البلغار فى المنطقة المحيطة بسالونيكا ومحاولات الاستيلاء على المدينة ، انظر :

Charanis, **Thessalonica**, 229-247; Angelov, **Formation**, 54; Besevliev, **Inschriften**, 110-111.

(٢٩) عن حملة الامبراطور قنسطانز الثانى ضد السلاف ، انظر :

Theophanes, I, 347-348.

بيزنطى ضد السلاف منذ عهد الامبراطور موريس [٣٠] • وفى هذه الحملة هاجم الامبراطور السلاف الذين استقروا فى اقليم مقدونيا وأولئك الذين استقروا فى الاقليم المحيط بمدينة سالونيكا • ولم يقم الامبراطور بطرد هؤلاء السلاف ولكنه أخضعهم للسيادة[٣١] • كذلك قام الامبراطور بتهجير اعداد كبيرة من هؤلاء السلاف الى آسيا الصغرى • ومنذ ذلك الوقت استقر السلاف أيضا فى بعض أقاليم آسيا الصغرى وتم تجنيد أعداد منهم فى الجيش البيزنطى[٣٢] • وكان السلاف المستقرين فى الاقليم المحيط بسالونيكا لايزالوا محتفظين بخصائصهم ولم ينعزلوا عن بقية القبائل السلافية التى استقرت فى مناطق أخرى من البلقان[٣٣] •

ان الحملة التى قام بها الامبراطور قنسطانز الثانى كانت تمثل الحد الأدنى من اهتمام الحكومة البيزنطية الضرورى لمواجهة تفاقم مشكلة السلاف • وتمت هذه الحملة بنجاح وبدون نفقات باهظة • وكانت النتيجة الطبيعية لهذه الحملة تأمين مدينة سالونيكا من خطر السقوط السريع فى يد السلاف وذلك باخضاع العناصر السلافية المستقرة فى الاقليم المحيط بالمدينة وفرض الجزية عليها[٣٤] •

كانت حملة الامبراطور قنسطانز الثانى نموذجا اتبعته الادارة الامبراطورية كلما دعت الحاجة وتوفرت الظروف المناسبة • وفى سنة ٦٨٨ / ٦٨٩ عقد الامبراطور جستنيان الثانى (٦٨٥ – ٦٩٥ / ٧٠٥ – ٧١١) هدنة مع المسلمين فى الشرق ، فتوفرت الظروف المناسبة للاهتمام

---

30) Ostrogorsky, **State**, 105.

31) Ostrogorsky, **State**, 105.

32) **Theophanes**, I, 348.

(٣٣) للمزيد عن علاقات السلاف المستقرين فى اقليم سالونيكا بغيرهم من القبائل السلافية التى كانت لاتزال فى رحلة الارتحال ، انظر :

Tapkova-Zaimova, Colonisation, 111-123.

34) **Theophanes**, I, 347.

بالبلقان [٣٥] . وفى هذا العام قاد الامبراطور حملة كبيرة ناجحة الى البلقان وتوغل عبر أقاليم استقرت فيها قبائل سلافية حتى وصل الى مدينة سالونيكا.وأدى هذا بالطبع الى تدعيم مركز الامبراطورية فى الاقليم المحيط بسالونيكا واجبر القبائل السلافية على الخضوع للسيادة البيزنطية[٣٦] . ولم تقتصر النتائج على توطيد مركز سالونيكا كقاعدة هامة للادارة البيزنطية ، بل أكثر من هذا أدى اخضاع السلاف الى تأكيد السلطة المركزية البيزنطية على اقليم ستريمون Strymon الذى يقع شمال سالونيكا ، وبهذا تم وصل مدينة سالونيكا باقليم تراقيا[٣٧] . كذلك قام الامبراطور بتهجير اعداد كبيرة من السلاف الى آسيا الصغرى، وبالتحديد الى اقليم بيثينيا Bithynia وثيم الاوبسيق Opsikion لتعويض النقص فى سكان بيثينيا ولزيادة القوة العسكرية لثيم الاوبسيق[٣٨] .

---

(٣٥) وسام : **العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى** (الاسكندرية ١٩٨١) ص٤٢ ، ص٩٤ — ٩٥ .

36) **Theophanes**, I, 364.

وجدير بالذكر أن الامبراطور جستنيان الثانى أصدر فى نفس العام ٦٨٨/٦٨٩م مرسوما منح فيه كنيسة القديس ديمترى فى سالونيكا بعض الامتيازات تعبيرا عن شكره للقديس ديمترى الذى بفضله انتصر الامبراطور على السلاف كما تروى الأسطورة . وفى هذا المرسوم ورد ذكر زيارة الامبراطور لمدينة سالونيكا ، انظر :

Grégoire, Justinien II, 119-134; Ostrogorsky, State, 117 n.1.

(٣٧) تحول اقليم تراقيا Thrace الى ثيم فى الفترة الواقعة بين عامى سنة ٦٨٠ وسنة ٦٨٧م ، ربما كرد فعل لعبور البلغار نهر الدانوب واستقرارهم فى شمال شرق البلقان . والمرجح أن اقليم ستريمون Strymon كان يتبع الادارة العسكرية لهذا الثيم . انظر عن ثيم تراقيا :

De Thematibus, 156-159; Oikonomidès, Présséance, 349 355.

وانظر ايضا :

Charanis, Demography, 458; Ostrogorsky, State, 119; Browning, Bulgaria, 47.

38) **Ostrogorsky, State, 117.**

ان أبعاد حملة جستنيان الثانى سنة ٦٨٨ / ٦٨٩ تتضح أكثر عند فحص موقف الامبراطورية البيزنطية تجاه كل من السلاف والبلغار • ان طبيعة هذه العلاقة الثلاثية تفسر سياسة الحكومة البيزنطية بالنسبة للاقليم المحيط بمدينة سالونيكا بل وبالنسبة للممتلكات البيزنطية فى شبه جزيرة البلقان[٣٩] • لقد سمح الامبراطور جستنيان الثانى مثل سلفه قنسطانز الثانى ببقاء المجتمعات السلافية داخل حدود الامبراطورية فى البلقان بشرط الخضوع للسيادة الامبراطورية • كان هدف الادارة الامبراطورية أن تقوم هذه العناصر الجديدة بزراعة الأرض التى هجرها أصحابها تحت وطأة الغزو الخارجى وأن تتقبل الحضارة البيزنطية • فاذا ماتقبلت هذه العناصر المسيحية الأرثوذكسية واللغة اليونانية وانخرطت فى جند الثيمات للدفاع عنها ، تكون الادارة الامبراطورية قد عوضت النقص الواضح فى السكان البيزنطيين فى البلقان واكتسبت دماء جديدة وعناصر منتجه •

ان حملة جستنيان الثانى كانت أكثر اهتماما بالخطر البلغارى الجاثم فى شمال شرق البلقان والذى يتهدد الممتلكات البيزنطية[٤٠] • ان وجود دولة بلغارية مستقلة فى شمال شبه جزيرة البلقان كان مكروها واضطرت الحكومة البيزنطية الى التسامح فيه ، ولكن بيزنطة ما كانت لتسمح بوقوع سالونيكا أو تراقيا أو شرق مقدونيا تحت سيطرة البلغار • وجدير بالذكر أن كثافة السكان البيزنطيين الأصليين كانت قليلة فى مقدونيا والاقليم المحيط بمدينة سالونيكا ، لهذا سمحت الحكومة البيزنطية ببقاء السلاف ولم تحاول طردهم حتى لاتعمل على خلق منطقة فراغ تغرى البلغار باحتلالها • وهكذا يمكن القول أن حملة جستنيان الثانى عملت على طرد البلغار بعيدا عن تراقيا وشرق مقدونيا واقليم

39) Angelov, Formation 49-64.

(٤٠) أشار ثيوفانيس الى ان حملة جستنيان الثانى كانت ضد السلاف والبلغار ايضا ، انظر :
Theophanes, I, 364; Charanis, Observations, 11-12.

سالونيكا • كما عملت أيضا على اخضاع السلاف وتهجير اعـداد كبيرة منهم الى آسيا الصغرى لتعمير بعض المناطق فيها • وبالنسبة للسلاف الذين خضعوا للسيادة البيزنطية ، حرصت الادارة الامبراطورية على الحيلولةدون اتحاد أو حتى اتصال هذه العناصر السلافية بالبلغار • وفى هذا المجال حددت الحكومة البيزنطية جملة قواعد للحيلولة دون اتصـــال السلاف بالبلغار ولضمان خضوع العناصر السلافية للسيادة البيزنطية(٤١)

ويبدو أن هذه السياسة البيزنطية قد حققت بعض النجاح • ولكن استمرار نجاح السياسة كان يعتمد على قوة الامبراطورية العســكرية واهتمامها بممتلكاتها فى البلقان • ولم تكن الامبراطورية البيزنطية قادرة دائما على توفير القوة لتأكيد ارادتها وردع أعدائها فى القسم الأوربى من ممتلكاتها • وخلال انشغال الادارة البيزنطية بالصراع ضد العـرب المسلمين فى آسيا الصغرى ، أو أثناء الانشغال بالمشاكل الداخلية ، كان البلغار ينتهزون الفرصة لتهديد المصالح البيزنطية سواء بالاعتداء على أقاليم تراقيا ومقدونيا أو باثارة القلاقل بين العناصر السلافية المستقرةفى الأقاليم البيزنطية والعمل على كسب ود هؤلاء السلاف(٤٢) • لقد أدرك البلغار أن الاتحاد مع العناصر السلافية المستقرة فى بلغاريا ، وتلك المستقرة فى الأقاليم البيزنطية ضرورى من أجل اقامةدولة بلغارية قوية فى البلقان •

ولم تكن العلاقات بين البلغار والامبراطورية البيزنطية سيئة دائما • فأحيانا كانت المصالح البيزنطية تلتقى مع المصالح البلغارية كما حـدث سنة ٧٠٥ حين تحالف خان البلغار ترفل Tervel (٧٠١ — ٧١٨) مع الامبراطور المعزول جســـتنيان الثانى وساعده على اســـترداد

---

41) Angelov, **Formation**, 55.

(٤٢) من أمثلة تمرد السلاف ضد السيادة البيزنطية ذلك التمرد الذى حـدث ضـــد الادارة البيزنطية فى عهـد الامبراطور تيبريوس الثانى Tiberius II (٦٩٨ — ٧٠٥م) ومن المحتمـل أن بلغـاريا هى التى حرضت السلاف على التمرد . أنظر :

Michel Le Syrien, II, 473.

عرشه[٤٣] . ولكن المطامع البلغارية كانت واضحة ، وكانت الحكومة البيزنطية حريصة طوال القرن الثامن الميلادى بالدبلوماسية وعن طريق بناء حلقة من التحصينات القوية على طول حدودها الشمالية الحيلولة دون توغل البلغار الى تراقيا أو فى عمق مقدونيا .

ولكن فى منتصف القرن الثامن الميلادى أخذ الخطر البلغارى بعدا خطيرا واحتاج الأمر الى قوة بيزنطة العسكرية . فلقد نظر البلغار الى التحصينات البيزنطية على حدودهم كخطر يتهددهم ، ولم يكتفو باثارة السلاف القاطنين فى مقدونيا بل أغاروا على الممتلكات البيزنطية فى تراقيا سنة ٧٥٦[٤٤] . وأدرك الامبراطور قسطنطين الخامس (٧٤١ — ٧٧٥)، الذى كان قد حقق نوعا من الاستقرار فى الجبهة الشرقية ، ضرورة التدخل العسكرى فى البلقان . ففى سنة ٧٥٨م شن الامبراطور حملة سريعة حاسمة ضد المناطق التى استقر فيها السلاف فى مقدونيا ، واخضع هذا الاقليم للادارة البيزنطية[٤٥] . وأدت هذه الحملة أيضا الى عزل السلاف فى مقدونيا عن النفوذ البلغارى فى الشمال . وما أن انجز الامبراطور هذه المهمة حتى التفت الى مصدر الخطر الحقيقى المتمثل فى دولة بلغاريا . وقام الامبراطور بحوالى تسع حملات عسكرية ضد بلغاريا، واتبع فى معظمها تكتيك الهجوم المزدوج ليصبح هذا التكتيك تقليدا

---

(٤٣) بعد أن نجح جستنيان الثانى فى استرداد عرشه سنة ٧٠٥م ، عامل خان البلغار بكرم وحفاوة ومنحه لقب قيصر الذى كان يلى فى المكانة لقب امبراطور الا أنه فقد فى ذلك الوقت أهميته الأولى . وكانت هذه هى المرة الأولى التى تمنح فيها بيزنطة هذا اللقب لحاكم أجنبى . ومن المرجح أن خان البلغار ترفل اعتنق المسيحية أثناء اقامته بالعاصمة البيزنطية ، ولكن بلغاريا ظلت دولة وثنية . وكذلك قام الامبراطور جستنيان الثانى بمنح خان البلغار اقليم زاجوريا Zagoria الذى يرجح أنه يقع بين جبال البلقان وخليج بورجاس Burgas انظر :

Browning, **Bulgaria**, 48; Besevliev, **Inschriften**, 58.

44) Ostrogorsky, **State**, 149.

45) **Theophanes**, I, 430.

عسكريا فى قتال البلغار بعد ذلك ، والحق الهزيمة تلو الهزيمة بالبلغار[٤٦] . ورغم التفوق العسكرى البيزنطى وموهبة قسطنطين الخامس العسكرية وكفاءته السياسية لم يتمكن الامبراطور من القضاء نهائيا على البلغار . وطوال ثلاثة عشر عاما بدءا من سنة ٧٦٢ استمرت العمليات العسكرية بشكل غير متصل حتى نهاية حياة الامبراطور الذى توفى خلال حملته الأخيرة ضد البلغار فى ١٤ سبتمبر سنة ٧٧٥ دون أن يتم التوصل الى حل نهائى لمشكلة البلغار[٤٧] . واذا كانت حملات قسطنطين الخامس لم تقض على بلغاريا الا أنها استنفذت قوتها العسكرية وعطلت نموها لبعض الوقت . ونتج عن هذا تأمين مقدونيا وضمان عدم تدخل البلغار هناك لسنوات قادمة[٤٨] .

كذلك تم تدعيم مركز سالونيكا كقاعدة هامة للنفوذ البيزنطى . ويمكن القول أن النفوذ البيزنطى على السلاف المستقرين فى الأقاليم البيزنطية بالبلقان قد نمى بوضوح بفضل جهود قسطنطين الخامس . وبدا وكأن بيزنطة تسير قدما فى سبيل استرداد سيادتها على شبه جزيرة البلقان ، ولكن المستقبل كان ينذر بمزيد من الخطر .

---

(٤٦) يتلخص تكتيك الهجوم المزدوج الذى اتبعه قسطنطين الخامس فى حملته الأولى ضد البلغار سنة ٧٦٣ فى قيام الامبراطور بارسال فرق الفرسان بحرا الى مصب نهر الدانوب لتتقدم بعد ذلك من مصب نهر الدانوب جنوبا تجاه بلغاريا ، بينما يتقدم الامبراطور بنفسه على رأس فرق المشاة برا عبر اقليم تراقيا وعلى طول ساحل البحر الأسود شمالا ، وبهذا يتحقق الهجوم على البلغار من الشمال والجنوب . انظر :

Theophanes, I, 434-435; Nicephorus, 67; Ostrogorsky, State, 150.

47) Ostrogorsky, State, 151.

48) Besevliev, Konstantine V, 5-17.

وجدير بالذكر أن حولية البطريرك نقفور تشير الى هجرة أعداد كبيرة من السلاف من منطقة الحدود البيزنطية البلغارية تجاه اقليم تراقيا ، وقيام الامبراطور قسطنطين الخامس بتوطينهم فى اقليم بثينيا فى آسيا الصغرى . انظر :

Nicephorus, 68-69.

واذا كانت وفاة الامبراطور قسطنطين الخامس سنة ٧٧٥ قد وضعت نهاية مؤقتة للصراع ضد بلغاريا ، الا أنها لم تضع نهاية للجهود البيزنطية من أجل تأكيد السلطة الامبراطورية في مقدونيا واليونان والبلوبونيز • لقد استفادت الامبراطورية من الهدوء النسبى الذى ساد العلاقات البيزنطية البلغارية ، وقامت الحكومة البيزنطية فى أوائل عهد أيرين Irene كوصية على ابنها قسطنطين السادس (٧٨٠ — ٧٩٧) — بارسال حملة عسكرية بقيادة ستاوراكيوس Stauracius سنة ٧٨٣م الى الاقليم المحيط بمدينة سالونيكا • وبعد أن اخضع السلاف القاطنين هناك مرة أخرى ، تقدم الجيش البيزنطى جنوبا الى وسط اليونان وشبه جزيرة البلوبونيز [٤٩] • وهناك أخضع القائد البيزنطى القبائل السلافية للحكم البيزنطى وفرض عليها دفع الجزية [٥٠] وهكذا عادت السيادة البيزنطية على أقاليم اليونان والبلوبونيز •

ويلاحظ أنه طوال قرن وربع من الزمان (٦٥٨ — ٧٨٣) كانت سالونيكا وبالتحديد الاقليم المحيط بهذه المدينة هدفا لأربع حملات عسكرية بيزنطية : حملة قنسطانز الثانى سنة ٦٥٧ / ٦٥٨ ، وحملة جستنيان الثانى سنة ٦٨٨ / ٦٨٩ ، وحملة قسطنطين الخامس سنة ٧٥٨ ، ثم أخيرا حملة ستاوراكيوس فى عهد وصاية أيرين سنة ٧٨٣ • والسؤال الذى يفرض نفسه هنا : لماذا استلزم الأمر كل هذا الجهد العسكرى ؟ وهل كانت الادارة البيزنطية غير مسيطرة تماما على الموقف فى الأقاليم المحيطة بمدينة سالونيكا لفترة طويلة ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تتضح فى سياسة التهجير التى قام بها الامبراطور نقفور الأول (٨٠٢ — ٨١١) • ففى سنة ٨١٠ قام نقفور الأول بتهجير أعداد كبيرة من السكان البيزنطيين من ثيمات آسيا الصغرى الى المناطق التى استقر

---

49) Theophanes, I, 456.

50) Theophanes, I, 457.

فيها السلاف فى البلقان (٥١) .

والحقيقة انه قبل عملية تهجير العناصر البيزنطية الى البلقان سنة ٨١٠م ، كانت أعداد السلاف المستقرين فى الاقليم المحيط بسالونيكا ، والقاطنين أقاليم مقدونيا واليونان والبلوبونيز كبيرة بالمقارنة لعدد السكان البيزنطيين المستقرين هناك . وان هذه الحقيقة جعلت الحكومة البيزنطية عاجزة عن تأكيد سيطرتها الكاملة على تلك الأقاليم بعد عودة كل حملة من الحملات العسكرية التى أرسلتها الى هناك . لقد كان الأمر يحتاج لوجود عدد أكبر من العناصر البيزنطية التى تتكلم اليونانية وتعتنق المسيحية الأرثوذكسية كى يتحقق اندماج السلافية وانصهارها فى بوتقة الحضارة البيزنطية . وكانت الادارة البيزنطية تفتقد الحل الحقيقى لهذه المشكلة قبل عهد الامبراطور نقفور الأول(٥٢) .

وكان الامبراطور نقفور الأول قد تأكد من عدم فاعلية الحملات العسكرية ضد السلاف بعد تلك الثورة التى قام بها السلاف القاطنين شبه جزيرة البلوبونيز ضد السيادة البيزنطية . ففى أوائل عهد نقفور الأول ثار السلاف فى البلوبونيز وقاموا بنهب ممتلكات جيرانهم البيزنطيين ثم هاجموا قلعة باتراس Patras سنة ٨٠٥ ، الا أن سكليروس Sclerus قائد ثيم البلوبونيز الحق بهم الهزيمة . وأمر الامبراطور باعادة بناء باتراس لتصبح مدينة ، ونقل اليها عناصر بيزنطية من اقليم

---

51) Theophanes, I, 486.

ذكر ثيوفانس — وهو المصدر الرئيسى والمعاصر لأحداث هذه الفترة — ان العناصر البيزنطية التى قام الامبراطور بتهجيرها جاءت من كل انحاء واقاليم الامبراطورية وانها استقرت فى Sclavinia بالبلقان . وكلمة Sclavinia تعنى الأقاليم التى قطنها السلاف فى شبه جزيرة البلقان . وهذا يتضمن بالطبع اقاليم تراقيا ، مقدونيا ، اقليم سالونيكا ، اليونان ، وشبه جزيرة البوبونيز . للمزيد عن معنى كلمة انظر :

Charanis, Observations, 11-12; Charanis, Nicephorus I, 79-83.

(٥٢) يطلق الأستاذ خرانيس Charanis على الامبراطور نقفور الأول لقب « منقذ بلاد اليونان » ، انظر :

Charanis, Nicephorus I, 86.

كالابريا Calabria لتعميرها ، كما حول كنيستها الى اسقفية[٥٣] . ولا شك أن هزيمة السلاف عند قلعة باتراس سنة ٨٠٥ ، فضلا عن تهجير أعداد كبيرة من السكان البيزنطيين من أقاليم آسيا الصغرى الى اقليم سالونيكا وبقية أقاليم اليونان والبلوبونيز سنة ٨١٠ ، قد نتج عنها استرداد الادارة البيزنطية لسيادتها على اليونان والبلوبونيز كما أنها كانت البداية الحقيقية والعملية لامتصاص العناصر السلافية المستقرة هناك فى الكيان الامبراطورى[٥٤] ويمكن القول أن أحوال السلاف استقرت الى حد بعيد بعد سنة ٨١٠ فى الاقليم المحيط بمدينة سالونيكا . والمرجح أن المشكلات التى تسببت فيها العناصر السلافية أصبحت قليلة ، ولم تحتاج الى نفس القوة العسكرية التى احتاج لها الأمر دائما قبل سنة ٨١٠ . فالمصادر تشير أن السلاف في اقليم سالونيكا عاشوا حياة هادئة وأنهم كانوا تابعين مخلصين للادارة البيزنطية وأنهم قاتلوا بشجاعة الى جانب البيزنطيين ودافعوا عن مدينة سالونيكا التى تعرضت لهجوم المسلمين سنة ٩٠٤[٥٥] . وأدى استقرار الأمور فى

---

(٥٣) المصدر الرئيسى لهذه المعلومات هو الحولية المعروفة بـ « حولية مونمفازيا » Chronicle of Monemvasia ولقد أثبتت الدراسات التاريخية أخيرا صحة المعلومات الواردة فى هذه الحولية التى تتضمن معلومات قيمة عن التغلغل السلافى فى بلاد اليونان منذ عهد الامبراطور موريس وحتى عهد الامبراطور نقفور الأول فضلا عن معلومات أخرى مفيدة متأخرة زمنيا . ورغم كل الدراسات التى ظهرت حتى الان ، لايزال مؤلف هذه الحولية مجهولا، كما أن تاريخ كتابتها غير معروف على وجه الدقة . انظر :

Lemerle, **Chron.** Monemvasia 10; Charanis, **Monemvasia**, 147-148, 152; Charanis, **Nicephorus I**, 82-83.

ومن الجدير بالذكر أن الأحداث الخاصة بثورة السلاف فى البلوبونيز وهجومهم على قلعة باتراس Patras قد وردت فى مؤلف الامبراطور قسطنطين السابع الخاص بالادارة الامبراطورية دون ذكر اسم سكليروس قائد ثيم البلوبونيز الذى أخمد ثورة السلاف ، انظر أيضا :

DAI, I, ch. 49, 228-232.

وللمزيد عن سكليروس قائد ثيم البلوبونيز ، انظر :

Seibt, **Die Skleroi**, 20.

54) Ostrogorsky, **State**, 171, n. 4.

55) Cameniates, **De Exp.**, 20, 25.

الاقليم المحيط بمدينة سالونيكا فى القرن التاسع الميلادى ، الى تحسن الأحوال لصالح الادارة البيزنطية فى أقاليم اليونان والبلوبونيز وتأكد هذا فى تطور نظام الثيمات وانشاء ثيمات جديدة •

واذا أردنا تحديد الأقاليم التى كانت تحت الحكم المباشر للادارة الامبراطورية والأقاليم التى كانت تابعة اسميا للامبراطورية ، فمن الضرورى أن نحدد مدى انتشار نظام الثيمات فى شبه جزيرة البلقان فهذا هو المقياس الصحيح للاوضاع الحقيقية • فحيث وجدت الثيمات ، وجدت الادارة البيزنطية المباشرة والحقيقية(٥٦) • والمعروف أنه عند نهاية القرن السابع الميلادى كان لبيزنطة ثيم تراقيا فى شمال البلقان ، وثيم هلاس Hellas فى الجنوب • ولقد استمر هذا الوضع فترة طويلة ، وعند نهاية القرن الثامن الميلادى انشأت الحكومة البيزنطية ثيم مقدونيا ليكون ثيما مستقلا عن ثيم تراقيا الأوربى • ولم يكن هذا الثيم الجديد يضم كل اقليم مقدونيا الجغرافى ، ففى الواقع كان هذا الثيم يشتمل على غرب تراقيا والجزء الشرقى من اقليم مقدونيا الجغرافى(٥٧) • وكذلك تم انشاء ثيم البلوبونيز فى أواخر القرن الثامن أو مطلع القرن التاسع الميلادى(٥٨) • وفى السنوات الأولى للقرن التاسع الميلادى انشأت الادارة الامبراطورية ثيم سفالونيا Cephalonia الذى ضم جزر البحر الأيونى فى غرب اليونان(٥٩) • وخلال النصف الأول من نفس

---

56) Ostrogorsky, **State**, 172.

(٥٧) أشار ثيوفانس الى مقدونيا كثيم منفصل عن تراقيا لأول مرة فى احداث سنة ٨٠٢ • ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن ثيم مقدونيا تكون فى الفترة مابين سنة ٧٨٩ وسنة ٨٠٢ ، انظر :

Theophanes, I, 475; **De Thematibus**, 162-165; Oikonomidès, **Préséance**, 349; Lemerle, **Macédoine**, 122-123.

(٥٨) للمزيد عن ثيم البلوبونيز ، انظر :

De Thematibus, 172-173; Oikonomidès, **Préséance**, 350; Charanis, **Observalions**, 4-11.

(٥٩) للمزيد عن ثيم سفالونيا ، انظر :

De Thematibus, 174-175; Oikonomidès, **Préséance** 352; Oikonomidès, **Cephalonie**, 118-119.

القرن أصبحت سالونيكا والاقليم المحيط بها ثيما مستقلا ، كما تحول ميناء ديراخيوم Dyrrachium ، أهم قاعدة بحرية للامبراطورية على البحر الادرياتى ، والاقليم المحيط به الى ثيم مستقل أيضا حوالى نفس الوقت (٦٠) .

وهكذا أصبح جزء كبير من اقاليم البلقان يخضع للادارة البيزنطية المباشرة . وكانت المستوطنات السلافية تقع فى اطار هذه التنظيمات الادارية العسكرية .

وتجدر الاشارة الى أن بعض القبائل السلافية التى استقرت فى اليونان وخصوصا تلك التى استقرت فى البلوبونيز ظلت تعيش فى ظل نوع من الحكم الذاتى رغم التطور الذى أصاب الثيمات الأوربية . فبعض القبائل السلافية المستقرة داخل حدود ثيمى هلاس والبلوبونيز احتفظت بكثير من خصائصها وعاشت فى ظل نوع من الحكم الذاتى لفترة من الزمن قبل انصهارها فى النهاية فى بوتقة الحضارة البيزنطية . ويمكن تفسير ذلك بأن بعض القبائل السلافية استقرت فى المناطق الجبلية التى يصعب الوصول اليها فى غرب شبه جزيرة البلوبونيز ، وهى مناطق كان الكثير منها محدود القيمة الاقتصادية من وجهة نظر الحكومة البيزنطية(٦١) . والمعروف أن اقتصاد السلاف كان يقوم على الاكتفاء الذاتى فى بداية استقرارهم فى أقاليم اليونان . وفى ظل الاكتفاء الذاتى كان الاتصال محدودا(٦٢) . وفضلا عن هذا وذاك كانت أعداد السلاف

---

(٦٠) عن ثيم سالونيكا انظر :
De Thematibus, 168-170; Oikonomidès, **Préséance**, 352; Dvornik, **Décapolite**, 8-12; Lemerle,

وللمزيد عن ثيم ديراخيوم Dyrrachium ، انظر :
De Thematibus, 117; Oikonomidès, **Préséance**, 352; Ferluga, **Dyrrachium**, 83-92.
Karayannopulos, **Frage**, 448.

(٦٢) اشار المصدر العسكرى الذى ينسب للامبراطور موريس الى حياة السلاف فى بداية مرحلة استقرارهم فى اقاليم البلقان . انظر :
Maurice, **Strategikan**, 370-375.

كبيرة وفاقت بالطبع أعداد السكان البيزنطيين الأصليين • وطوال القرن الثامن الميلادى وجزء من القرن التاسع اقترن الحكم الذاتى للسلاف بالقرصنة واللصوصية[٦٣] • وكما سبق أن أوضحنا اذا كان فى مقدور الجيش الامبراطورى اخضاع القبائل السلافية للسيادة البيزنطية مع فرض الجزية عليها ، الا أنه لم يكن فى مقدوره القضاء على استقلالهم الذاتى ، وكان الحل الوحيد هو وجود أعداد أكبر من العناصر البيزنطية التى تتكلم اليونانية وتدين بالمسيحية الأرثوذكسية • وهذا ماتحقق فى القرن التاسع بفضل سياسة التهجير التى قام بها الامبراطور نقفور الأول • ولم تأت النتائج سريعة بالطبع ولم يتم القضاء على وضع الاستقلال الذاتى للسلاف بين يوم وليلة ، لقد احتاج الأمر الى تعاون العناصر البيزنطية مع ادارة الثيمات وبمرور الوقت اكتسب السلاف خصائص الحضارة البيزنطية[٦٤] • وحين نتحدث عن السلاف فى شبه جزيرة البلقان فيجب أن نفرق بين أحوال السلاف المستقرين فى شمال البلقان ، وأولئك المستقرين الى الجنوب من اقليم سالونيكا فى أقاليم اليونان والبلوبونيز • لقد كان هناك اختلاف وانعكس هذا الاختلاف على جهود الحكومة البيزنطية من أجل استيعابهم فى الكيان الامبراطورى •

بالنسبة للعناصر السلافية المستقرة فى أقاليم جنوب البلقان أى فى اليونان والبلوبونيز ، فقد سيطرت هذه العناصر على معظم أقاليم اليونان والبلوبونيز لأكثر من قرنين من الزمان : « منذ العام السادس لعهد الامبراطور موريس (٥٨٧) وحتى العام الرابع لعهد الامبراطور نقفور الأول (٨٠٥) » طبقا لرواية احدى الحوليات البيزنطية[٦٥] • فى القرن السابع الميلادى لم يكن فى مقدور الحكومة البيزنطية الاهتمام باليونان أو البلوبونيز التى كانت تقع بعيدا عن خطوط المواصلات

63) Maurice, **Strategikon**, 372,373; Dvornik,

64) Charanis, **Demography**, 462.

65) Monemvasias Chronik, 68-69; Charanis, **Nicephorus** I, 81; Charanis, **Monemvasia**, 149.

الرئيسية للامبراطورية • وكانت الادارة الامبراطورية تعطى هذه الأقاليم أهمية ثانوية بالمقارنة بآسيا الصغرى التى كانت مركز الثقل الحقيقى للامبراطورية • كذلك كانت بيزنطة مشغولة دائما بالتصدى للاخطار الخارجية التى هددت آسيا الصغرى • وكان الحد المؤثر للادارة البيزنطية فى هذه الأقاليم قاصرا على بعض مناطق وسط اليونان مثل طيبة Thebes وأثينا وكورنثا ، وعلى بعض الموانىء الهامة مثل سالونيكا وعلى جزر البحر الايجى • وفى شبه جزيرة البلوبونيز كانت الادارة البيزنطية ملموسة فى بعض المراكز الساحلية مثل ناوبليا Nauplia ، مونمفازيا Monemvasia ، باتراس Patras بالاضافة الى جزر البحر الايونى[٦٦] أما بقية أقاليم اليونان والبلوبونيز فقد استقرت فيها العناصر السلافية بأعداد ضخمة •

ويلاحظ أن هذه العناصر السلافية لم تجمعها وحدة سياسية بل عاشت فى مجتمعات منفصلة • وكذلك لم تحاول أية قوة خارجية فرض الوحدة السياسية عليهم كما حدث للسلاف المستقرين فى أقاليم شمال البلقان سواء من قبل الآفار أو البلغار • لقد عاش السلاف هناك فى وحدات قبلية ، وكل وحدة يحكمها مجلس القبيلة • وفى بعض الأحيان شكلت هذه الوحدات القبلية تحالفات مؤقتة لخدمة أغراض معينة • وفى هذا المجتمع القبلى تشكلت طبقة ارستقراطية عسكرية ، وكانت هذه الطبقة الحاكمة الجديدة معجبة بالحضارة البيزنطية ونمط الحياة البيزنطى • واذا كانت المجتمعات السلافية فى البداية محدودة الاتصال بالعناصر البيزنطية المستقرة فى المناطق المجاورة فان هذا الوضع لم يستمر طويلا • ففى القرن التاسع ازداد تغلغل العناصر البيزنطية نتيجة لسياسة التهجير التى اتبعتها الحكومة البيزنطية • وكانت الحاجة الى التجارة هى التى دفعت التجار البيزنطيين الى القرى السلافية • والفلاحين السلاف الى المراكز البيزنطية وفى القرن التاسع كانت هناك مجتمعات

---

66) Browning, **Bulgaria**, 52.

قروية بيزنطية قوية وسط المجتمعات السلافية وعلى هـذا بدأ طـور تدريجى من تقبل السلاف للحضارة البيزنطية ، وبدأ اعتناق العنـاصر السلافية للمسيحية تدريجيا[٦٧] .

ومن حسـن الحظ أن المجتمع البيزنطى لم يعـرف العنصرية ، فالسلافى الذى تعلم اليونانية واعتنق المسيحية الأرثوذكسية وجد أمامه معظم الأبواب مفتوحة . وان المؤامرة الفاشلة ضد حكم الامبراطـورة أيرين سـنة ٧٩٨ / ٧٩٩م التى شـارك فيها أكامير Akamir زعيـم قبيلة فلزيتى Velziti السلافية مثال ودليل على دخول بعض العناصر السلافية فى الحياة والسياسة البيزنطية . فهذا الزعيم السـلافى لم يتآمر ضد الامبراطورة ليعتلى هو العرش البيزنطى ، ولكنه تامر لاسقاط أيرين ليعتلى أحد أبناء الامبراطور قسطنطين الخامس العـرش[٦٨] . وهكذا كان أكامير Akamir يؤيد أحد الاتجـاهات المعـادية لحكم الامبراطورة أيرين ولم يكن يعمل من أجل الاستقلال الذاتى .

مثال آخر ، ثورة توماس السلافى ضد الامبراطور ميخائيل الثانى (٨٢٠ — ٨٢٩) . لقد كان توماس أحد أبناء المجتمعات السلافية المستقرة فى آسـيا الصـغرى ، وتدرج مناصب القيادة العسـكرية فى عهد الامبراطور ليو الخامس الارمينى (٨١٣ — ٨٢٠) وقاد الثورة ضـد خلفه ميخائيل الثانى ، وخلال هذه الثورة نادى بنفسه امبراطورا ولكن الثورة فشلت[٦٩] .

ومن الجدير بالذكر أن الطبقات العليا من العناصر السلافية المستقرة فى أقاليم اليونان والبلوبونيز حققت تقدما أسرع فى تقبل خصـائص

---

67) Obolensky, **Commonwealth**, 79.

68) **Theophanes**, I, 473-474.

69) Browning, **Bulgaria**, 52.
ويضيف الأستاذ براوننج Browning أن البطريرك نيكتاس Nicetas (٧٦٦ — ٧٨٠) قد يكون من أصل سلافى ، ولكن الأدلة غير كافية .

الحضارة البيزنطية ، وانصهرت فى المجتمع البيزنطى بعد أن اختلطت دمائها بدمائه ، بينما حققت العناصر السلافية القروية تقدما أبطأ واحتاجت لوقت أطول • ويتضح هذا فى قصة أسرة رنتاكيوس Rentacius ذات الأصل السلافى • فهذه الأسرة الأرستقراطية ، التى تعتبر من أقدم عائلات طبقة كبار الملاك فى القسم الأوربى من الامبراطورية ، كانت تمتلك الضياع الشاسعة فى الاقليم المحيط باسبرطة • ولقد ورد ذكر هذه الأسرة لأول مرة فى المصادر البيزنطية فى أحداث أوائل القرن الثامن الميلادى عندما ثار البطريق زيسينيوس رنتاكيوس Sissinius Rentacius ضد الامبراطور ليو الثالث سنة ٧١٧م[٧٠] واحتفظت هذه الأسرة بمكانة اجتماعية متميزة طوال القرنين التاسع والعاشر • ولقد ادرك الامبراطور رومانوس ليكابينوس Romanus Lecapenus أن هذه الأسرة ذات ثروة ونفوذ فحرص على الارتباط بها ليدعم مركز أسرته • ونتيجة لذلك تزوج كريستوفر Christopher ابن الامبراطور رومانس من صوفيا ابنة نيكتاس رنتاكيوس • وهكذا نجحت هذه الأسرة ذات الأصل السلافى فى الارتقاء بعد أن اختلطت دمائها السلافية منذ فترة طويلة بالدماء الهلينية[٧١] •

وفى الواقع أن السلاف المستقرين فى أقاليم اليونان والبلوبونيز والمنعزلين عن بلغاريا لم يكن أمامهم سوى طريق واحد فى النهاية الا وهو تقبل الحضارة البيزنطية • وفى القرن التاسع كان اندماج العناصر السلافية فى المجتمع البيزنطى يسير قدما •

بالنسبة للعناصر السلافية المستقرة فى أقاليم شمال البلقان فقد كان الموقف مختلفا • ويمكن التمييز بين مجموعتين من العناصر السلافية هناك : العناصر السلافية التى استقرت فى أقاليم تابعة للادارة

---

70) Theophanes, 1, 400.

71) De Thematibus. 91.

البيزنطية ، والعناصر السلافية المستقرة فى أقاليم غير خاضعة للامبراطورة البيزنطية أو تابعة لدولة البلغار • بالنسبة للمجموعة الأولى ، فقد سبق أن أشرنا أن العناصر السلافية استقرت فى تراقيا ، ومقدونيا ، وستريمون Straymon ، واقليم ساالونيكا • أما المجموعة الثانية ، فالمعروف أنه بعد عبور البلغار لنهر الدانوب واستقرارهم فى دبرودجا Dobrudja ومواشيا Moesia فى شمال شرق البلقان ، وكان هذا الاقليم تقطنه أعداد كبيرة من السلاف الذين خضعوا بالتالى للبلغار(٧٢) • واتخذ البلغار فى البداية بليسكا Pliska عاصمة لهم • وأدرك البلغار فى القرن الثامن أهمية كسب ود العناصر السلافية المستقرة فى اقليم البلغار وتلك المستقرة فى مقدونيا من أجل اقامة دولة بلغارية قوية • وفى مطلع القرن التاسع الميلادى كان اقليم مقدونيا منطقة حدود بين الامبراطورية البيزنطية ، ودولة بلغاريا ، فقد خضع الجزء الشرقى من مقدونيا فقط للسيادة البيزنطية • وفى منتصف القرن التاسع تحقق اندماج البلغار بالسلاف ، ونسى البلغار لغتهم التركية الأصلية واتخذوا لهجة مواطنيهم السلاف الذين كانوا يمثلون الأغلبية(٧٣) •

ان وجود دولة للبلغار فى شمال البلقان كان عاملا هاما أضعف الجهود البيزنطية فى سبيل نشر الحضارة البيزنطية بين العناصر السلافية المستقرة فى تراقيا ، ومقدونيا ، وستريمون ، واقليم ساالونيكا بهدف احتوائهم داخل الكيان الامبراطورى • وكانت سياسة الامبراطورية البيزنطية تجاه البلغار بعد استقرارهم فى الاقليم الشمالى الشرقى من شبه جزيرة البلقان ، طوال القرن الثامن الميلادى ذات شقين • الشق الأول ، حرصت الادارة البيزنطية بالدبلوماسية وبالقوة على الحيلولة دون توسع البلغار وعلى تحديد حدودهم جنوبا بحيث لاتتخطى حد جبال

---

72) Obolensky, **Commonwealth**, 64.

73) Browning, **Bulgaria**, 53; Angelov, **Formation**, 54, 55, 58.

البلقان[٧٤] . وحين تخطت حدود دولة البلغار نطاق جبال البلقان جنوبا[٧٥] ، وهددت الممتلكات البيزنطية فى تراقيا ، قاد الامبراطور قسطنطين الخامس تسع حملات عسكرية ضد بلغاريا . واذا كان الامبراطور لم ينجح فى القضاء على بلغاريا نهائيا الا أنه اضعفها عسكريا ، وانكمشت بلغاريا شمالا وراء جبال البلقان[٧٦] . والشق الثانى ، حرصت الحكومة البيزنطية على اخضاع السلاف المستقرين فى تراقيا ومقدونيا وستريمون وسالونيكا بالقوة للسيادة البيزنطية ، كما عملت على الحيلولة دون اتحاد أو اتصال هذه العناصر السلافية بدولة

---

(٧٤) للمزيد عن اتفاقيات السلام بين الامبراطورية البيزنطية ودولة البلغار ، والحدود بين الدولتين فى اتفاقية سنة ٦٨١ ، ومعاهدة سنة ٧٠٥م انظر :

Besevliev, **Inschriften**, 57-59; Obolensky, **Commonwealth**, 65.

(٧٥) يلاحظ أن حدود البلغار تخطت بالفعل نطاق جبال البلقان كما يتضح هذا فى اتفاقية سنة ٧١٧م بين بيزنطة وبلغاريا . ولكن يجب الا ننسى ان الامبراطورية البيزنطية كانت مضطرة لعقد هذه الإتفاقية واعطاء البلغار بعض التنازلات الاقليمية كى تتفرغ لمواجهة الخطر الاسلامى . وجدير بالذكر أن ثيوفانس لم يذكر هذه الاتفاقية فى أحداث سنة ٧١٧ ، بل اثناء سرد أحداث سنة ٨١٢م . فقد ذكر ثيوفانس أن الخان البلغارى كروم عرض على الامبراطور البيزنطى ميخائيل الأول رانجاب Michael Rangab (٨١١ — ٨١٣) مقترحات اتفاق سلام يماثل بنود اتفاقية السلام التى عقدها الامبراطور ثيودوسيوس الثالث Theodosius III (٧١٥ — ٧١٧) والبطريرك جرمانوس مع خان البلغار . انظر :

Theophanes, I, 497; Besevliev, **Inschriften**, 60-62.

(٧٦) ولكن الموقف تغير فى عهد الامبراطور قسطنطين السادس (٧٨٠ — ٧٩٧م) مرة اخرى ، واضطر الامبراطور الى الخروج فى حملتين ضد البلغار : سنة ٧٩١ ، ٧٩٢م . وفى الحملة الثانية الحق البلغار بالامبراطور هزيمة كبيرة ، واستطاع قسطنطين الهرب بصعوبة . ومن المرجح أن بيزنطة اضطرت الى عقد هدنة مع البلغار وتقرر بمقتضاها قيام الامبراطورية بدفع الجزية لبلغاريا . ومن المرجح أيضا أن حدود دولة البلغار تخطت مرة أخرى نطاق جبال البلقان جنوبا . انظر :

Ostrogorsky, **State**, 162; Besevliev, **Inschriften**, 65-66.

البلغار • ويتضح هذا فى الحملات التى خرجت فى الفترة الممتدة من سنة ٦٥٨ وحتى سنة ٧٨٣ لاخضاع السلاف •

ولكن القرن التاسع الميلادى شهد تطورا خطيرا فى توازن القوى فى شبه جزيرة البلقان • فقد أدى الانتصار الساحق لقوات شارلمان على الافار فى بانونيا Pannonia سنة ٧٩٦ الى انهيار ما تبقى للافار من قوة على الدانوب الأوسط(٧٧) • وفتح هذا الطريق أمام توسع البلغار غربا ، على طول نهر الدانوب ، حتى جاورت حدود بلغاريا الشمالية الغربية حدود دولة الفرنجة(٧٨) • وكانت معظم الأقاليم التى استولى عليها البلغار ، تعيش فيها عناصر سلافية • وأدى هذا التوسع الذى حققته الدولة البلغارية الى زيادة مواردها الاقتصادية وبالتالى امكانياتها العسكرية ، وأصبح الصدام العسكرى بين بيزنطة وبلغاريا أمرا لا مفر منه • وأثبت خان البلغار كروم Krum (٨٠٣ — ٨١٤) ، ومن بعده القيصر سيمون Symeon (٨٩٣ — ٩٢٧) فى الانتصارات العسكرية على الجيوش البيزنطية أن بلغاريا تستحق أن تكون ندا للامبراطورية البيزنطية(٧٩) •

كذلك شهدت الامبراطورية البيزنطية فى منتصف القرن التاسع بداية عصر نهضة امتد حتى الربع الأول من القرن الحادى عشر وكان هذا العصر بحق أمجد فترة فى تاريخها الطويل • وتميزت بداية هذا العصر فى منتصف القرن التاسع الميلادى بالأحداث الاتية : تغير ميزان القوى فى الصراع البيزنطى الاسلامى على الجبهة الشرقية ، انتهاء النزاع حول عبادة الصور والايقونات باندحار اللاأيقونية وانتصار تقليد

---

77) Browning, **Bulgaria**, 48; Ostrogorsky, **State**, 173.

78) Browning, **Bulgaria**, 49

(٧٩) عن العلاقات البيزنطية البلغارية فى القرنين التاسع والعاشر ، انظر :

Angelov, **Formation**, 49-64; Browning, **Bulgaria**, 54-78.

تبجيل الصور والايقونات المقدسة ، النهضة الثقافية[٨٠] ، انطلاق الطاقات التبشيرية للكنيسة والمؤسسات الديرية فى شتى جزيرة البلقان ووراء حدود الامبراطورية . ونتج عن هذه الأحداث الهامة أن أصبحت الحكومة البيزنطية فضلا عن الكنيسة والمؤسسات الديرية فى موقف يسمح لها بالاهتمام بالبلقان أكثر من ذى قبل . وحين اجتمعت جهود الحكومة والكنيسة والأديرة تحقق فى النهاية امتصاص العناصر السلافية ، المستقرة فى أقاليم جنوب البلقان ، فى المجتمع البيزنطى .

لقد تركز اهتمام الحكومة البيزنطية فى العمل على تدعيم نظام الثيمات وتطويره فى البلقان . فحيث وجدت الثيمات وجدت السلطات الفعلية للادارة البيزنطية . وبدأت ادارة كل ثيم تعمل على دمج العناصر السلافية المستقرة داخل حدوده فى التنظيم الادارى والعسكرى . وفى البداية كان اندماج السلاف فى تنظيمات الثيمات يسير بطيئا ، ولكن ما أن أطل القرن التاسع الميلادى حتى أخذ يسير بخطى سريعة وتم تجنيد العناصر السلافية فى جند الثيمات مع توزيع الأراضى العسكرية عليها . وهكذا تأكدت السلطة البيزنطية على السلاف المستقرين فى كل ثيم . وكان هذا يعنى تدعيم القوة الدفاعية للامبراطورية فضلا عن زيادة مواردها . وحتى منتصف القرن التاسع الميلادى كان عدد الثيمات فى البلقان سبعة ، فعملت الحكومة البيزنطية على انشاء ثلاثة ثيمات جديدة فى النصف الثانى من هذا القرن . اثنان منها على الساحل الغربى لشبه جزيرة البلقان لتحمى سواحل البحر الأيونى والبحر الادرياتى ، ولتعمل على اخضاع السلاف المستقرين فى غرب البلقان ، وهما : ثيم نيقوبوليس

---

(٨٠) عن النهضة الثقافية فى بيزنطة فى القرن التاسع الميلادى ، انظر :
Dvornik, **Byzance**, 106-146; Dvornik, **Les Légendes**, 25-37.

وثيم دالماشيا Dalmatia [٨١] وكان ثيم نيقوبوليس Nicopolis يضم السهل الساحلي جنوب اقليم ابيروس Epirus . أما ثيم دالماشيا فيقع الى الشمال من ثيم ديراخيوم Dyrrachium ، ويضم كل المراكز الساحلية الهامة على البحر الادرياتى مثل زادار Zadar (زارا) ، ودوبروفنيك Dubrovnik . وكان هذا الثيم هاما بالنسبة للحكومة البيزنطية لأسباب منها أنه ضم عددا من المراكز الساحلية والجزر ذات الأهمية الاستراتيجية لحماية الخط الملاحى شمالا الى البندقية التى كانت تابعة لبيزنطة فى ذلك الوقت ، كما كان هذا الثيم هاما كقاعدة بحرية من أجل التصدى لهجمات المسلمين المتكررة على البحر الادرياتى . كذلك كان لهذا الثيم أهمية من أجل اخضاع السلاف المستقرين فى شمال غرب البلقان ، وبث النفوذ البيزنطي فى دولة كرواتيا Croatia كما انه رأس حربة لأى مشروع بيزنطي فى المستقبل من أجل استرداد ايطاليا . أما الثيم الثالث فهو ثيم ستريمون Strymon ، وكان هذا الثيم يضم الجزء الجنوبى من اقليم مقدونيا الجغرافى فضلا عن الساحل الشمالى للبحر الايجى ، وكان الطريق البرى الرئيسى الذى يربط القسطنطينية بروما والذى يعرف باسم طريق اجناتيا Via Egnatia يمر فيه [٨٢] .

وهكذا نجحت الحكومة البيزنطية مع نهاية القرن التاسع الميلادى

---

(٨١) للمزيد عن ثيم نيقوبوليس Nicopolis انظر :

De Thematibus, 176; Oikonomidès, Préséance, 351.

بالنسبة لثيم دالماشيا Dalmatia ، يلاحظ ان قسطنطين بورفيروجينتوس Constantine Porphyrogenitus يخصص له فصلا فى مؤلفه الخاص بالثيمات كما فعل بالنسبة للثيمات الأخرى ، انظر ملاحظات برتوسى Pertusi فى تفسير ذلك فى نفس المصدر .

De Thematibus, 41-43; Oikonomidès, Préséance, 353.

(٨٢) للمزيد عن ثيم ستريمون Strymon ، انظر :

De Thematibus, 166-168; Oikonomidès, Préséance, 352, 357.

في فرض سيطرتها الادارية على أقاليم عديدة فى البلقان من خلال سلسلة الثيمات التى أحاطت بشبه الجزيرة • فى بعض هذه الثيمات مثل تراقيا وستريمون كانت سلطة الادارة البيزنطية تمتد فى عمق المناطق الخلفية ، ولكن فى بعض المناطق الخلفية لثيمات أخرى كان الوضع مختلفا • على أية حال ، اذا تصورنا أن هناك خطا يمتد من سالونيكا على البحر الايجى شرقا الى ديراخيوم Dyrrachium على البحر الادرياتى غربا ، فيمكن القول أن المجتمعات السلافية المستقرة فى الثيمات الواقعة جنوب هذا الخط كانت تذوب تدريجيا فى تنظيم الثيمات وتنصهر فى المجتمع البيزنطى • أما المجتمعات السلافية المستقرة شمال هذا الخط (باستثناء تلك المجتمعات المستقرة فى تراقيا ، ستريمون، شرق وجنوب مقدونيا) فقد كانت بعيدة عن سيطرة الادارة البيزنطية ، وخلال القرن التاسع اندمجت فى الكيانات السياسية المستقلة فى شمال البلقان فى بلغاريا ، دولة الصرب ، كرواتيا • ولم يتم ضم المناطق الشمالية من البلقان الا فى القرن الحادى عشر الميلادى بعد فتوح الامبراطور باسيل الثانى (٩٧٦ — ١٠٢٥) الذى أدخل نظام الثيمات على أقاليم شمال البلقان[٨٣] •

ان انتهاء النزاع حول عبادة الصور والايقونات بانتصار تقليد تبجيل وعبادة الصور المقدسة فى مارس سنة ٨٤٣ ، وضع نهاية لذلك الصراع الذى عصف بالكنيسة ، والحياة السياسية والاجتماعية ، واستنفد الطاقات الثقافية فى الامبراطورية البيزنطية • وكان انتهاء هذا النزاع الداخلى نقطة تحول بالنسبة للجهود البيزنطية فى شبه جزيرة البلقان • فقد أدى الى تحرير الطاقات الكنسية والديرية ، وأصبح فى امكان الكنيسة والمؤسسات الديرية أن تكرس جهودها لتكمل جهود الحكومة البيزنطية فى العمل على نشر الحضارة البيزنطية بين السلاف فى البلقان • وكان للرهبان دائما دور هام فى المجتمع البيزنطى •

---

83) Obolensky, **Commonwealth**, 78.

فالراهب فى نظر أهل المدينة أو القرية على حد سواء هو الرجل المقدس الذى وهب نفسه للرب ، ولهذا كان الفرد يلجأ اليه فى وقت الأزمات[٨٤] . كذلك كان الراهب أكثر من أى فرد آخر قادرا على نقل الحضارة البيزنطية فى أفضل أشكالها[٨٥] .

وجدير بالذكر أنه بينما كان للديرية مؤسسات قوية فى بيثينيا Bithynia فى جبل الاولمب Olympus ومناطق أخرى من آسيا الصغرى ، لم تكن المؤسسات الديرية العظيمة فى القسم الأوربى من الامبراطورية قد قامت بعد . ولا شك أن المؤسسات الديرية كانت مراكز ثقافية هامة لنشر المسيحية الأرثوذكسية واللغة اليونانية[٨٦] . ولقد اهتمت الأديرة دائما بالعمل على نشر مبادىء الكتاب المقدس الى كل الأمم ، ولهذا لعبت الأديرة دورا هاما فى دمج العناصر السلافية فى المجتمع البيزنطى . فاعتناق الفرد للمسيحية الأرثوذكسية كان يؤدى الى تقبل لغة الكتاب المقدس الا وهى اليونانية . وكانت المسيحية الأرثوذكسية واللغة اليونانية من أهم خصائص الحضارة البيزنطية . وحتى منتصف القرن التاسع الميلادى ، كانت أعداد الرهبان قليلة فى أقاليم اليونان والبلوبونيز بسبب انشغال الديرية بالنزاع حول عبادة الايقونات . وكانت الحاجة ماسة لوجود مؤسسات ديرية قوية مثل تلك التى وجدت فى جبل الأولمب فى بيثينيا Bithynia أو فى القسطنطينية . ان بطء انصهار العناصر السلافية فى المجتمع البيزنطى فى أقاليم اليونان والبلوبونيز يرجع الى بطء تطور المؤسسات الديرية هناك .

على أية حال ، تلقت سالونيكا والأقليم المحيط بها مرة أخرى اهتماما كبيرا من جانب الامبراطورية البيزنطية . فموقع سالونيكا كان

---

84) Hussey, **World**, 130.

85) Charanis, **Monk**, 63-84.

86) Charanis, **Monk**, 81-82.

هاما للغاية ومنها كان يمكن التأثير على المجتمعات السلافية فى شمال وجنوب البلقان • وشهد القرنان التاسع والعاشر واحدة من أعظم المؤسسات الديرية وأكثرها تأثيرا فى العالم البيزنطى الا وهى مؤسسة جبل آثوس Athos على اللسان الساحلى الضيق الذى يمتد فى البحر الايجى شرق مدينة سالونيكا • وكان يوحنا كولوبوس John Colobos قد حاول فى القرن التاسع اقامة أحد الأديرة هناك • ولكن المؤسسة الديرية الكبيرة لم تبدأ الا فى سنة ٩٦١ • وبفضل تشجيع الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩) لصديقه القديس اثناسيوس St. Athanasius تم انشاء دير لافرا Lavra العظيم[٨٧] • وبفضل نشاط الكنيسة وهذه المؤسسة الديرية تحقق فى النهاية انتشار المسيحية الأرثوذكسية واللغة اليونانية بين معظم العناصر العناصر السلافية المستقرة فى أقاليم اليونان والبلوبونيز فى القرن العاشر وخلال الربع الأول من القرن الحادى عشر الميلادى[٨٨] •

لم تقتصر الجهود البيزنطية على نشر المسيحية بين العناصر السلافية المستقرة فى الأقاليم البيزنطية ، ففى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى بدأت الكنيسة البيزنطية برنامجا تبشيريا واسع النطاق، استهدف نشر المسيحية الأرثوذكسية خارج حدود الامبراطورية وخاصة بين العناصر السلافية فى بلغاريا ودولة الصرب وبين العناصر الشمالية فى امارة كيف Kiev الروسية[٨٩] • ولقد تعاونت الكنيسة والادارة

---

87) Hussey, **Byzantine Monasticism**, 180-181; Vlasto, **Christendom**, 298-299; Dujcev, **Mont Athos**, 121-144.

(٨٨) ولكن العناصر السلافية لقبيلتى Melingi و Ezeritae والمستقرة فى مرتفعات غرب البلوبونيز احتفظت بهويتها الجنسية واللغوية حتى الفتح العثمانى فى القرن الخامس عشر ، انظر :

Georgacas, **Slavic Groups**, 301-333; Vlasto, **Christendom**, 12.

89) Obolensky, **Byzantine-Slav Relations**, 4; Obolensky, **Commonwealth**, 72.

البيزنطية معا فى تنفيذ هذا البرنامج الذى ابتدأ بتعاون البطريرك فوتيوس Photius والامبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٣ ــ ٨٦٧م) والقيصر برداس Bardas [٩٠] . ولكن لاشك أن الفضل الأكبر يرجع الى البطريرك فوتيوس الذى يعتبر أعظم مفكرى وساسة عصره ، وأعظم دبلوماسى يشغل منصب بطريرك القسطنطينية[٩١] . لقد اعتبر فوتيوس نشر المسيحية بين الشعوب الأخرى خارج حدود الامبراطورية أحد واجباته الرئيسية . وكان اعتناق المسيحية الأرثوذكسية يعنى قبول السيادة الروحية للكنيسة القسطنطينية وكان هذا يتضمن من حيث المبدأ قبول السيادة الزمنية للامبراطورية البيزنطية[٩٢] .

أرسل فوتيوس Photius بعثات تبشيرية الى دولة الخزر Khazars والى امارة « كيف » Kiev الروسية والى مملكة مورافيا Moravia بوسط أوربا (تدخل الان فى نطاق حدود دولة تشيكوسلوفاكيا)[٩٣] . ولم تحقق الجهود البيزنطية فى دولة الخزر نفس النجاح الذى تحقق بعد ذلك مع امارة كيف Kiev الروسية . أما البعثة التبشيرية البيزنطية التى توجهت الى مورافيا فلها أهمية خاصة . ففى العقد السادس من القرن التاسع الميلادى أدرك ملك مورافيا ــ وهى دولة سلافية تقع شمال الدانوب الأوسط ــ أن جهود اللاتين لنشر المسيحية فى دولته ، تعمل أيضا من أجل اخضاع مورافيا لدولة الفرنجة . وفى محاولة من جانبه لوقف هذا التطور اتجه ملك مورافيا الى

---

90) Dvornik, **Byzance**, 133-146; Obolensky, **Byzantine-Slav Relations**, 4.

للمزيد عن حياة البطريرك فوتيوس Photius أنظر
Dvornik, **Photius**, 1-56.

92) Browning, **Bulgaria**, 55.

93) Ostrogorsky, **State**, 203; Browning, **Bulgaria**, 55.
بالنسبة للسفارة البيزنطية الى دولة الخزر Kharyars سنة ٨٦١م ، أنظر :
Dvornik, **Les Lékendes**, 178-211.

الامبراطورية البيزنطية مساعدتها فى نشر المسيحية الأرثوذكسية فى مملكته[٩٤] .

وعلى الفور استجاب البطريرك فوتيوس لهذا الطلب وأرسل بعثة تبشيرية على رأسها الاخوان قسطنطين (الذى عرف بعد ذلك باسم سيريل Cyril) ومثوديوس Methodius لتعميد شعب مورافيا ولتأسيس كنيسة سلافية على مذهب كنيسة القسطنطينية[٩٥] . وكان الأخوين سيريل ومثوديوس من أبناء ثيم سالونيكا كما كانا عالمين من الطراز الأول . وتوصل الأخوان الى تكوين حروف هجائية ساعدتهم على كتابة اللغة السلافية التى تتكلمها العناصر السلافية المستقرة فى مقدونيا ، ثم قاما بترجمة أجزاء من الكتاب المقدس من اللغة اليونانية الى هذه اللغة السلافية . وقد تم هذا كله قبل أن يتوجه سيريل ومثوديوس الى مورافيا سنة ٨٦٢ / ٨٦٣[٩٦] . وسيكون لهذا التطور الخطير الذى حدث للغة السلافية نتائج هامة بالنسبة لبلغاريا .

كان اعتناق مورافيا للمسيحية له دلالة هامة بالنسبة لبلغاريا التى أصبح عليها تدعيم كيانها السياسى والحضارى باعتناق المسيحية هى الأخرى . فاذا كانت مورافيا قد لجأت الى الامبراطورية البيزنطية ، فلماذا لا تلجأ بلغاريا الى دولة الفرنجة . وبالفعل أرسل خان البلغار بوريس

---

(٩٤) عن علاقة مملكة مورافيا بدولة الفرنجة والظروف التى دفعت الملك راستيسلاف Rastislav الى طلب مساعدة بيزنطة فى تأسيس كنيسة فى مورافيا ، أنظر :

Dvornig, **Byzance**, 147-163; Dvornik, **Les Légendes**, 226-235; Vlasto, **Christendom**, 29-28.

95) Dujcev, **Moravia**, 219-228; Dvornik, **Byzance**, 164-183.

(٩٦) للمزيد عن حروف اللغة السلافية التى توصل اليها سيريل Cyril ومثوديوس Methodius أنظر :

Vlasto, **Christendom**, 28-48; Obolensky, **Byzantine-Slav Relatons**, 10.

الأول Boris I (٨٥٢ — ٨٨٩) سفارة الى دولة الفرنجة • وأدركت الحكومة البيزنطية على الفور خطورة اعتناق بلغاريا للمسيحية الغربية وقيام تحالف بين دولة الفرنجة وبلغاريا وبينهما روما • وعلى الفور أرسل الامبراطور ميخائيل الثالث جيشا بيزنطيا الى بلغاريا ، كما أرسل الأسطول البيزنطى الى سواحل بلغاريا على البحر الأسود (٩٧) • ولم يكن بوريس مستعدا للحرب ، كما أن سياسة بوريس حرصت دائما على تجنب مواجهة شاملة مع الامبراطورية البيزنطية • وكانت الامبراطورية سنة ٨٦٤ فى موقف عسكرى جيد بعد الانتصار الكبير الذى حققه الجيش البيزنطى على جيش أمير ملطية فى آسيا الصغرى سنة ٨٦٣ (٩٨) • وعلى هذا فضل بوريس الاتفاق مع بيزنطة وقبل الشروط البيزنطية التى كان أهمها التخلى عن مشروع التحالف مع الفرنجة ، واعتناق المسيحية الأرثوذكسية من قبل بيزنطة • وفى تفس العام سنة ٨٦٤ تم تعميد بوريس الذى اتخذ اسما مسيحيا الى جانب اسمه وأصبح يعرف ببورس ميخائيل(٩٩) • وأرسل بطريرك القسطنطينية فوتيوس عددا كبيرا من رجال الدين الى بلغاريا ليقوموا بتعميد البلغار وتأسيس الكنيسة البلغارية •

وكانت المشكلة التى واجهها بوريس هى كيف يمكن لبلغاريا أن تعتنق المسيحية الأرثوذكسية دون أن تخضع للسيادة البيزنطية ؟ كيف يمكن تأسيس كنيسة بلغارية مستقلة عن بطريرك القسطنطينية ؟ كيف يمكن الحيلولة دون تحكم الايديولوجية البيزنطية فى قيم المجتمع البلغارى ؟ لقد كان الاحساس بهذه المشكلة أقل فى امارة كيف Kiev

97) Dvornik, **Les Légendes**, 229-231; Browning, **Bulgaria**, 55, 146; Ostrogorsky, **State**, 204.

(٩٨) وسام : **دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية** جـ١ ، ص٢٥٨ — ٢٥٩ •

99) Obolensky,**Commonwealth**, 84; Ostrogorsky, **State**, 204; Dvornik, **LesLégendes**, 230; Dvornik, **Byzance**, 187.

الروسية ، أو فى مورافيا لبعد المسافة بينهما وبين القسطنطينية . أما بالنسبة لبلغاريا التى تقع مباشرة أمام الأبواب الشمالية للامبراطورية ، فقد كان الوضع مختلفا[١٠٠] . ولقد تحققت مخاوف العاهل البلغارى فى تلك الرسالة أرسلها له فوتيوس بطريرك القسطنطينية سنة ٨٦٥ . لقد كانت تلك الرسالة عبارة عن محاضرة من جانب فوتيوس عن واجبات الحاكم المسيحى الذى يدين بالطاعة لكنيسة القسطنطينية وللامبراطور[١٠١] ولم تتضمن الرسالة أية اشارة الى موضوع الاستقلال الذاتى للكنيسة البلغارية كما هو الحال فى المشروع البيزنطى بالنسبة لكنيسة مورافيا[١٠٢] . وكان الخلاف — فى ذلك الوقت — على أشده بين بطريرك القسطنطينية فوتيوس وبين بابا روما نيقولا الأول Nicholas . ورأى بوريس أن يستثمر هذا الخلاف بالاتجاه الى روما لمساعدته على تأسيس كنيسة بلغارية مستقلة استقلالا ذاتيا . وهكذا اتجهت سياسة بوريس فى الفترة من سنة ٨٦٦ وحتى سنة ٨٧٠ الى روما من أجل تحقيق هذه الغاية[١٠٣] . وبالطبع رحبت البابوية بمطلب

---

100) . Brownng Bulgaria, 145.

المسيحية وأهمية المجامع المسكونية وعددها ، وواجبات الحاكم المسيحى . أنظر النص الكامل لهذه الرسالة الطويلة .

Photius, **Epistola**, Cols, 627-696.

وانظر ايضا :

Dvornik, **Byzance**, 190.

102) Browning, **Bulgaria**, 147.

(١٠٣) للمزيد عن الخلاف العنيف بين فوتيوس بطريرك القسطنطينية ونيقولا الأول بابا روما ، وكيف حاول القيصر البلغارى استثمار هذا الخلاف، أنظر :

Dvornik, **Schisme**, 144-195.

كذلك اتجه بوريس الى دولة الفرنجة وارسل سفارة الى لويس الألمانى ، ملك القسم الشرقى من دولة الفرنجة ، يطلب ارسال رجال دين من قبله ، أنظر :

Dvornik, **Byzance**, 191; Browning, **Bulgaria**, 148.

بلغاريا وأرسلت على الفور عددا من رجال الدين اللاتين لاقامة الكنيسة البلغارية[١٠٤] • ولكن روما تجاهلت باستمرار مطلب بوريس الخاص بالوضع شبه المستقل للكنيسة البلغارية ، كما رفضت مقترحاته بخصوص شغل وظيفة رئيس اساقفة بلغاريا[١٠٥] •

وخلال الفترة الممتدة بين سنة ٨٦٦ و ٨٧٠ حدثت تطورات هامة كان لها أثر كبير على مستقبل الكنيسة البلغارية • ففى سنة ٨٦٧ اعتلى العرش البيزنطى الامبراطور باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦) بعد مقتل ميخائيل الثالث • وقام باسيل الأول بعزل فوتيوس من منصب بطريرك القسطنطينية وأعاد غريمه اجناتيوس Ignatius • وتبع ذلك انعقاد مجمع دينى فى القسطنطينية فى أكتوبر سنة ٨٦٩ لرأب الصدع الذى أصاب الكنيسة ولازالة كل أسباب الخلاف الدينى الذى نشب بين روما والقسطنطينية خلال بطريركية فوتيوس[١٠٦] • وأدرك بوريس

---

(١٠٤) لا نعلم على وجه التحديد محتوى رسالة القيصر البلغارى الى بابا روما ، ولكن رد البابا نيقولا الأول على هذه الرسالة قد وصلنا بالكامل . ويتضمن هذا الرد الاجابة على ١٠٦ سؤال فى شئون المسيحية والتنظيم الكنسى . للمزيد عن رد بابا روما على رسالة القيصر البلغارى ، انظر :

Dujcev, Die Responsa, 349-362; Obolensky, Commonwealth, 87-92.

(١٠٥) فى منتصف عام ٨٦٩ اقترح القيصر بوريس على البابا هادريان الثانى (٨٦٧ — ٨٧٢) بعض الأسماء (من بين أعضاء الوفد البابوى فى بلغاريا) لشغل وظيفة رئيس أساقفة بلغاريا . ولكن البابا تجاهل المطالب البلغارية ، على اعتبار أن اختيار شخص رئيس الأساقفة من حق البابا وحده ، انظر : Dujcev, Die Responsa, 357.

(١٠٦) كان الامبراطور باسيل الأول حريصا على اقامة علاقات طيبة مع الغرب وخصوصا مع البابوية . وبعد أن عزل الامبراطور البطريرك فوتيوس ، أرسل سفارته الأولى الى البابا هادريان الثانى . وتم الاتفاق على عقد مجمع دينى فى القسطنطينية لتصفية كل الخلافات بين الكنيستين الشرقية والغربية . ويعتبر هذا المجمع — الذى انعقد خلال الفترة الممتدة من أكتوبر سنة ٨٦٩ الى مارس سنة ٨٧٠ — بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية هو المجمع المسكونى الثامن . للمزيد عن هذا المجمع ، انظر :
Dvornik, Schisme, 204-229; Vlasto, Christendom, 162.

أن روما والقسطنطينية فى طريق تصفية خلافاتهما ، وأنه لم يعد هنـاك جديد يمكن لروما تقديمه • وعلى هذا دخل فى مفاوضات مع الامبراطور باسيل الأول والبطريرك اجناتيوس • وقبيل انتهاء المجمع الدينى المنعقد فى القسطنطينية من دورة انعقاده الأخيرة ، وصل وفد بلغارى ودعى المجمع الى الفصل فى موضوع تبعية الكنيسة البلغارية ولمن تجوز لروما أم للقسـطنطينية • وبعد نقاش حاد ، وبفضل موقف البطـريركيات الشرقية الثلاث ، قرر المجمع أن الكنيسة البلغارية تقع فى نطاق نفـوذ كنيسة القسـطنطينية • وكان هناك اتفاق ضمنى يعطى لهذه الكنيسـة امتياز الاستقلال الداخلى[١٠٧] • ولم يكن أمام المندوب البابوى سـوى قبول قرار المجمع بخصوص بلغاريا • ونتج عن هذا رحيل رجال الدين اللاتين عن بلغاريا ، وعودة رجال الدين البيزنطيين • وأصدر البطريرك اجناتيوس قرارا بتعيين رئيس أساقفة لبلغاريا ، وقد وصل بالفعل الى بليسكا Pliska فى أواخر سنة ٨٧٠ [١٠٧] • وهكذا حقق بوريس انتصارا جزئيا فى سعيه من أجل بناء كنيسة بلغارية لها اسـتقلالها الذاتى •

ومنذ ذلك الوقت بدأ بالفعل التنظيم الحقيقى للكنيسة البلغارية • وأخذ بناء الكنائس ينتشر فى كل اقاليم بلغاريا ، كذلك تم بناء مؤسسة ديرية فى شمال شرق بلغاريا[١٠٩] • ويلاحظ أن كل هذا النشاط التنظيمى للكنيسة البلغارية قد تم باللغة اليونانية • فكبار رجال الدين فى الكنيسة البلغارية ، حتى لو كانوا من أبناء بلغاريا ، كانوا رجالاً تلقوا تعليمهم

---

107) Dvornik, **Schisme**, 123-124; Browning, Bulgaria, 151-152.

(١٠٨) لانعرف على وجه التحديد اسم رئيس أساقفة بلغاريا • ومن المحتمل انه كان أحد ابناء الجالية اليونانية فى بلغاريا • انظر :
Vlasto, **Christendom**, 162.

و يرى البعض أن الاتفاق على شخص رئيس أساقفة بلغاريا تـم خلال المجمع الدينى وبموافقة الجميع ، نظر :
Browning, **Bulgaria**, 152.

109) Browning, **Bulgaria**, 153.

لسنوات طويلة فى القسطنطينية • وكان بوريس يخشى تأثير الحضارة البيزنطية على أولئك الرجال الذين وقع على عاتقهم نهضة بلغاريا الحضارية • ولنا أن نتصور الفجوة الكبيرة بين هذه الصفوة المثقفة وبين الأغلبية الأمية من سكان بلغاريا ، وكيف كان هؤلاء الرجال يباشرون القداس الدينى ويقرأون الكتاب المقدس بلغة أجنبية هى اليونانية التى لايفهمها أغلبية السكان • لاشك أن هذا من أسباب بطء انتشار المسيحية بين سكان القرى البلغارية التى استمر بعضهم يمارس الوثنية حتى نهاية القرن التاسع الميلادى •

وكانت الأخبار تصل بلغاريا تباعا بخصوص ما كان يجرى بعيدا فى مملكة مورافيا ، والنجاح الذى حققه فى البداية الاخوان سيريل Cyril ومثوديوس Methodius هناك(١١٠) وكان بوريس يدرك بلاشك أن اتخاذ اللغة السلافية بدلا من اليونانية كلغة للكنيسة البلغارية له أهمية كبرى وان استخدم اللغة السلافية ، التى يتكلمها أغلبية سكان بلغاريا ، فى الطقوس الدينية للكنيسة البلغارية سيؤدى الى انتشار المسيحية بين أهل القرى فى بلغاريا كما سيؤدى الى القضاء على خطر انتشار اللغة اليونانية ، وفضلا عن هذا وذاك فان الاستقلال الشكلى للكنيسة البلغارية يصبح حقيقة(١١١) •

على أية حال ، أدى تغلب الاتجاه اللاتينى فى مملكة مورافيا فى العقد الثامن من القرن التاسع الميلادى ، الى طرد تلاميذ الاخوين سيريل ومثوديوس • وكانت هذه فرصة العامل البلغارى ، الذى سارع بالاتصال بهم وفتح أمامهم أبواب دولته • وبالفعل وصل تلاميذ الاخوين وعلى رأسهم كلمنت Clement وناوم Naum الى حدود بلغاريا سنة ٨٨٥ / ٨٨٦ ، واستقبلهم بعد ذلك بوريس ، ووضع تحت تصرفهم

---

(١١٠) عن نشاط الاخوين سيريل ومثوديوس فى مورافيا، انظر :
Dujcev, **Moravia**, 219-228.

111) Browning, **Bulgaria**, 154; Vlasto, **Christendom**, 163.

امكانيات عاملة لتحقيق هدف عزيز ألا وهو تطوير اللغة السلافية واتخاذها لغة للكنيسة البلغارية[112] . وعلى الفور أقام نوم Naum مركزا تعليميا على الطراز الجديد لعاهل البلغار في برسلاف Preslav كما أقام كليمنت مركزا آخر في أوخريد Ochrid في غرب إقليم مقدونيا . وكان العمل الأول والمهام هو الإعداد السريع لرجال دين يتكلمون اللغة السلافية ، والقيام بنسخ الترجمات التي قام بها ميثوديوس وهي ترجمات للكتاب المقدس والطقوس الدينية من اليونانية إلى السلافية . وفضلا عن هذا اعداد ترجمات جديدة .

وفي خريف سنة ٨٩٣ وبعد أن نجح بوريس في القضاء على ثورة مضادة لانتشار المسيحية في بلغاريا ، أعلن العاهل البلغاري في اجتماع ضم رجال الدولة قرارات هامة ، منها اعتزاله العرش وتعيين ابنه الأصغر سيميون Symeon قيصرا لبلغاريا . كما تقرر رسميا نقل العاصمة البلغارية من بليسكا Pliska الى برسلاف . وأهم من هذا وذاك أصدر بوريس قرارا رسميا باعتبار اللغة السلافية اللغة الرسمية للكنيسة والدولة على حد سواء[113] . ومن الجدير بالذكر أنه حتى صدور هذا القرار كانت اللغة اليونانية منذ أيام الخان اسبارخ Asparuch هي اللغة التي استخدمها البلغار في اتصالاتهم الخارجية ، وأحيانا في المراسلات الرسمية داخل دولة البلغار كلما دعت الضرورة . وبعد صدور قرار اتخاذ اللغة السلافية لغة رسمية للكنيسة والدولة ، يمكن القول أن التطور الذي بدأ باتحاد العناصر البلغارية التركية بالعناصر السلافية التي شكلت الأغلبية في بلغاريا قد اكتمل وأصبحت بلغاريا دولة سلافية[114] .

---

112) Obolonesky, **Commonwealth**, 95-96; Browning, **Bulgaria**, 154-155; Angelov, **Formation**, 57.

Browning, **Bulgaria**, 158; Angelov, **Formation**, 57; Obolensky, **Commonwealth**, 97.

114) Angelov, **Formation**, 57-58.

وانظر ايضا : Dujcev, **L'Etat Bulgare**, 224.

ان توصل الاخوين سيريل ومثوديوس الى تكوين حروف هجائية للغة السلافية لأول مرة وتطور هذه اللغة بعد ذلك على يد كلمنت وناوم Naum ، قد حد من نجاح بيزنطة فى فرض كل عناصر الحضارة البيزنطية على الكيانات السياسية السلافية المستقلة فى شمال البلقان • حقيقة لقد أدى تحول بلغاريا الى المسيحية الأرثوذكسية بفضل جهود الامبراطورية فى عهدى ميخائيل الثالث وباسيل الأول ، الى دخول بلغاريا دائرة الحضارة البيزنطية • ولكن اتخاذ البلغار اللغة السلافية لغة رسمية للكنيسة والدولة حال تماما دون انتشار اللغة اليونانية فى بلغاريا من خلال الكنيسة •

استمرت جهود الحكومة البيزنطية من أجل استرداد سيادتها على شبه جزيرة البلقان من عهد باسيل الأول المقدونى وحتى عهد باسيل الثانى « سفاح البلغار » • ومن أجل تحقيق هذه الغاية استعملت بيزنطة القوة العسكرية والبعثات التبشيرية فى إخضاع الدول السلافية المستقلة فى شمال وشمال غرب البلقان • والمعروف أن حدود بلغاريا الغربية كانت تتاخم دولة الصرب • وكانت عناصر الصرب السلافية قد استقرت منذ القرن السابع الميلادى فى مجتمعات متناثرة حول وديان الأقليم الجبلى الواقع جنوب الدانوب الأوسط ، وهو اقليم تجرى فيه الروافد الجنوبية لنهر السافا Sava • وكان هذا الاقليم يعرف فى العصور الوسطى باسم راسكا (راسكا Raskia)[115] • وكان لبيزنطة سيادة اسمية على الصرب وعلى القبائل السلافية الأخرى المستقرة جنوب دولة الصرب حتى عهد الامبراطور ميخائيل الثانى (٨٢٠ — ٨٢٩) ، حين تخلص الصرب والسلاف من سيادة بيزنطة الاسمية وأصبحوا مستقلين كما يروى أحد المصادر البيزنطية فى القرن

115) Obolensky, Commonwealth, 98.

العاشر[١١٦] وفى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى ، أدرك حاكم الصرب ان البقاء على الوثنية يعوق التقدم السياسى والحضارى لدولة الصرب ، تماما كما أدرك خان البلغار من قبل[١١٧] وفى بداية عهد باسيل الأول أرسل حاكم الصرب سفارة الى القسطنطينية تعلن خضوع الصرب للسيادة البيزنطية ورغبتها فى اعتناق المسيحية على مذهب كنيسة القسطنطينية • وبالطبع استجابت الحكومة البيزنطية لمطالب الصرب[١١٨] • وكانت الادارة البيزنطية ترى أن اعتناق دولة الصرب للمسيحية الأرثوذكسية سيؤدى الى تبعيتها للامبراطورية ، لأن التبعية الروحية لبطريرك القسطنطينية تتضمن من حيث المبدأ التبعية السياسية للامبراطور

---

(١١٦) افرد الامبراطور قسطنطين السابع فصلا كاملا عن « اقليم دالماشيا والامم السلافية المجاورة له » ، وهو الفصل رقم (٢٩) فى مؤلفه الخاص بادارة الامبراطورية De Administrando Imperio ويعتبر هذا الفصل هاما لأنه يقدم مادة تاريخية قيمة عن التاريخ المبكر لدولتى الصرب والكروات فضلا عن القبائل السلافية الأخرى المستقرة على ساحل البحر الادرياتى ، انظر :

DAI, I, ch, 29, 124.

وانظر ايضا الجزء الثانى من هذا المصدر الذى يتضمن تعليقات هامة من قبل بعض المؤرخين المحدثين :

DAI, II, 94-101.

(١١٧) تشير المصادر البيزنطية الى أن عناصر الصرب ظلت على وثنيتها ورفضت باستمرار محاولات الامبراطورية لكسب ودها أو اخضاعها . انظر الفصل الخاص بحياة الامبراطور باسيل الأول Vita Basili فى صلة ثيوفانس :

Theophanes Con., 288-289.

والمرجح أن مؤلف هذا الفصل الخاص بحياة الامبراطور باسيل الأول والذى يحمل رقم (٥) فى المصدر سابق الذكر ، هو حفيد باسيل الأول ، الامبراطور قسطنطين السابع . انظر :

Moravcsik, **Byzantinoturcica**, I, 380.

118) **Theophanes Cont.**, 291-292.

وانظر أيضا :

Dujcev, **Serbes**, 53-60.

لقد تبنت الحكومة البيزنطية هذه النظرية مع بلغاريا من قبل • ولكن اذا كان البلغار بعد تحولهم للمسيحية الارثوذكسية قد ظلوا مستقلين سياسيا ، فان بيزنطة كانت حريصة على ألا يتكرر هذا بالنسبة لدولة الصرب •

ومن المرجح أن تبادل السفارات بين دولة الصرب والامبراطورية البيزنطية ، وتحول الصرب النهائي للمسيحية الأرثوذكسية ، قد حدث في الفترة الممتدة من سنة ٨٦٧ وحتى سنة ٨٧٤[١١٩] • ولقد أدى تحول دولة الصرب الى المسيحية فضلا عن اعتناق القبائل السلافية الأخرى للمسيحية في شمال غرب البلقان بفضل نشاط البعثات التبشيرية التي أرسلتها كنيسة القسطنطينية ، الى تعزيز مركز الامبراطورية في شمال غرب شبه الجزيرة ، كما أدى انشاء ثيم دالماشيا كما سبقت الاشارة الى تدعيم مركز الامبراطورية على ساحل البحر الادرياتي •

ورغم أن ثيم دالماشيا قد دعم مركز بيزنطة على ساحل البحر الادرياتي طوال القرنين التاليين فيجب ألا ننسى ان الادارة البيزنطية هناك كانت قاصرة على المراكز الحصينة على الساحل • وكانت هذه المراكز الحصينة قليلة ومتباعدة ، ويحيط بها مجتمعات سلافية لم يكن لبيزنطة دائما عليها سلطان • ففي أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة البلقان ، استقرت عناصر الكروات السلافية منذ القرن السابع الميلادي بين نهر درافا Drava والبحر الادرياتي شمال ثيم دالماشيا • وكانت عناصر الكروات تنقسم الى مجموعتين رئيسيتين : كروات دالماشيا المستقرين جنوب نهر السافا Sava ، وكروات بانونيا Pannonia المستقرين شمال نهر السافا[١٢٠] • وكانت علاقة الامبراطورية البيزنطية

---

119) Dujcev, Serbes, 60.

120) Obolensky, Commenwealth, 100.

بالكروات متوقفة على مركز الامبراطورية ونفوذها على ساحل البحر الادرياتي . والمعروف أن توسع دولة الفرنجة شرقا قد أدى الى خضوع كروات بانونيا لشارلمان في السنوات الأخيرة من القرن الثامن الميلادي . ففي ذلك الوقت سيطر الفرنجة على الاقليم الممتد بين نهري السافا Sava ودرافا Drava حتى الدانوب الأوسط(١٢١) .

أما كروات دالماشيا فقد تخلصوا من سيادة بيزنطة الاسمية وأعلنوا تبعيتهم أيضا لشارلمان بسنة ٨٠٣ ، ثم تنازلت بيزنطة عن سيادتها الاسمية على هذا الاقليم بعد ذلك للفرنجة بمقتضى معاهدة آخن Achen سنة ٨١٢ ، ولكنها احتفظت بسيادتها على المراكز الحصينة على ساحل دالماشيا والجزر المقابلة لهذا الساحل (١٢٢) ، وهو ما تحول بعد ذلك في النصف الثاني للقرن التاسع الميلادي الى ثيم دالماشيا . ومن المرجح أن عناصر الكروات أخذت تتحول الى المسيحية بفضل نشاط البعثات التبشيرية اللاتينية واهتمام البابوية في هذه الفترة المبكرة من القرن التاسع(١٢٣) .

وفي عهد الامبراطور باسيل الأول حظي ساحل دالماشيا باهتمام الحكومة البيزنطية بسبب تهديد العرب المستمر للمراكز الساحلية البيزنطية هناك ، وقامت الحكومة البيزنطية بانشاء ثيم دالماشيا الذي

---

(١٢١) من المرجح أن خضوع كروات بانونيا Pannonia لشارلمان حدث سنة ٧٩٥ ، أنظر :

Vlasto, **Christendom**, 189.

(١٢٢) ترجع أهمية هذه المعاهدة الى انها حددت بوضوح حدود الامبراطورية البيزنطية ودولة الفرنجة ومناطق نفوذهما في شمال غرب البلقان . انظر :

Vlasto, **Christendom**, 18-190; Obolensky, **Commonwealth**, 100.

(١٢٣) للمزيد عن نشاط البعثات التبشيرية اللاتينية في كرواتيا ، انظر :

Vlasto, **Christendom**, 191-194.

دعم من مركز ونفوذ الامبراطورية البيزنطية فى شمال غرب البلقان وعلى طول ساحل البحر الادرياتى • ونتج عن ازدياد النفوذ البيزنطى فى الربع الأخير من القرن التاسع على طول سواحل البحر الادرياتى ، قيام زد سلاف Zdeslav حاكم كروات دالماشيا بالاعتراف بالسيادة البيزنطية وأعلن تبعية كنيسته لبطريرك القسطنطينية سنة ٨٧٨[١٢٤] وبدا وكأن سيادة بيزنطة السياسية ونفوذها الدينى سيمتد شمالا الى استريا Istria فى أقصى شمال ساحل البحر الادرياتى • ولكن النجاح البيزنطى فى كرواتيا كان قصير المدى • فبعد عام واحد انتصر التيار المؤيد للغرب اللاتينى بفضل نشاط رجال الدين اللاتين ، وبعد مقتل زدسلاف Zdeslav تولى برانيمير Branimir الحكم فى كرواتيا التى عادت الى تبعية كنيسة روما[١٢٥] • ورغم السياسة المستقلة التى اتبعها حكام كرواتيا الا أن الامبراطورية كان لها بعض النفوذ فى منتصف القرن العاشر •

ان نشاط البعثات التبشيرية والنجاح الذى حققته يعتبر أحد الانجازات الهامة للامبراطورية البيزنطية فى القرن التاسع • واذا كانت الجهود البيزنطية قد فشلت فى مورافيا التى عادت الى تبعية كنيسة روما ، فان النجاح البيزنطى كان واضحا فى بلغاريا ودولة الصرب ، ومع العناصر السلافية المستقرة فى غرب مقدونيا • لقد اعتنق الجميع المسيحية على مذهب كنيسة القسطنطينية واكتسبوا بهذا أحد عناصر الحضارة البيزنطية •

ولكن التطور الذى حققته اللغة السلافية التى أصبحت اللغة الثالثة فى أوربا العصور الوسطى[١٢٦] ، واتخاذ بلغاريا هذه اللغة واكتمال الشخصية السلافية للدولة البلغارية ، كان خطرا كبيرا هدد المصالح

Obolensky, **Commonwealth**, 100; Ostrogorsky, **State**, 210.

125) Vlasto, **Christendom**, 194.

126) Obolensky, **Byzantine-Slav Relations**, 10.

البيزنطية فى البلقان طوال القرن العاشر الميلادى • فقد أدى اكتمال الشخصية السلافية لهذه الدولة أن أصبحت مركزا هاما لجذب واستقطاب العناصر السلافية المستقرة خارج حـدود دولة البلغـار • ولو ظلت بلغاريا الجارة القوية للامبراطورية البيزنطية فى الشمال متمركزة حول مدينتى بليسـكا Pliska وبرسـلاف Preslav شمال نطـاق جبال البلقان ، فلربما كان الخطر محدودا • ولكن توسع بلغاريا غربا فى القرن التاسع وانشاء مركز تعليمى للغة السـلافية فى مدينة أوخريد Ochrid بغـرب مقدونيا تحت سـيطرة قياصرة بلغاريا الأقوياء كان خطرا يهدد جهود بيزنطة لامتصاص العناصر السلافية المسـتقرة فى مقـدونيا داخل الكيان الامبراطـورى • كذلك كان مثل هذا المركز الجنوبى للغة السلافية المدعم من قبل دولة قوية كبلغاريا يسـتطيع القضاء على الكثير من الانجازات التى تمت بالنسبة لامتصاص العناصر السلافية المستقرة فى اقليم سالونيكا وأقاليم اليونان • وكانت تـلك الانجازات البيزنطية قد تحققت بعد جهد كبير وكانت أيضا لاتزال غير مكتمـلة •

وتأكدت هذه المخاطر فى الربع الأول من القرن العاشر الميلادى ، حين قام قيصر بلغاريا الطموح سيميون Symeon باجتياح الأقاليـم البيزنطية فى البلقان وتقدم جنوبا عبر أقاليم اليونان حتى خليج كورنثا، بل وحاصر العاصمة البيزنطية نفسها أكثر من مرة (١٢٧) • ويلاحظ أن طموح القيصر سيميون لم يقتصر على تكوين امبراطورية بلغارية داخل حدود اقليمية تجاور الامبراطورية البيزنطية ، لقد بلغ طموح هذا القيصر البلغـارى حد التفكـير فى خلق امبراطورية عالمية جـديدة تحل محل

---

(١٢٧) للمزيد عن حروب القيصر سيميون ضد الامبراطورية البيزنطية انظـر :

Browning, **Bulgaria**, 62-67; Obolensky, **Commonwealth**, 105-113: Ostrogorsky **State**, 231-236.

الامبراطورية البيزنطية[١٢٨] • واستطاع القيصر سيميون بفضل انتصاراته المتوالية ، واخضاعه لدولة الصرب ، وبسبب انضمام بعض العناصر السلافية المستقرة فى الأقاليم البيزنطية اليه ، أن يكون امبراطورية وان يصبح بحق سيد شبه جزيرة البلقان •

لقد اجتازت بيزنطة محنة الخطر البلغارى بصعوبة ، وبعد وفاة سيميون سنة ٩٢٧ مرت بلغاريا بمرحلة ضعف بعد أن انهكتها حروب سيميون الطويلة • وسادت العلاقات السلمية بينها وبين الامبراطورية قرابة الأربعين عاما • ولكن الهجوم الروسى على بلغاريا سنة ٩٦٨ بدعوة من الامبراطور نقفور فوقاس ، أدى الى خلق مشكلة خطيرة للادارة البيزنطية فى شمال شرق البلقان بعد أن أصبح أمير كيف Kiev الروسى سيدا على بلغاريا[١٢٩] • وبفضل براعة الامبراطور يوحنا

---

128) Ostrogorsky, State, 232.

(١٢٩) فى سنة ٩٦٥ توفت ماريا ليكابينا Maria Lecapena حفيدة الامبراطور رومانوس ليكابينوس ، وزوجة القيصر البلغارى الضعيف بطرس (٩٢٧ — ٩٦٩م) والعقب ذلك وقوع القيصر البلغارى تحت تأثير بعض العناصر المعادية لبيزنطة فى بلغاريا • وتحت تأثير هؤلاء ، أرسل بطرس سفارة الى العاصمة البيزنطية لاستلام الجزية التى كانت بيزنطة تدفعها أحيانا حسب اتفاقية رومانوس ليكابينوس والقيصر بطرس ، وهى الاتفاقية التى رتبت زواج بطرس من حفيدة الامبراطور سنة ٩٢٨ • على أية حال ، حين وصلت سفارة البلغار الى العاصمة البيزنطية ، كانت الظروف قد تغيرت وبدأت الامبراطورية عصر قوة وتوسع فى الشرق فى عهد الامبراطور نقفور فوقاس • ولم يتصور نقفور أن تقوم الامبراطورية بدفع جزية لهؤلاء البرابرة وقام بطرد السفراء البلغار • وتوقعا لنشوب حرب مع بلغاريا ، قرر نقفور توجيه الضربة الأولى • وبالفعل أرسل الامبراطور جيشا الى حدود بلغاريا ، ثم غير رأيه وقرر الاستعانة بالروس لاداء هذه المهمة •• وارسل الامبراطور سفارة الى سفياسلاف Svjatoslav أمير كيف Kiev الروسى ، ومعهما ١٥٠٠ رطل من الذهب كهدية مقابل غزو بلغاريا • وبالفعل استجاب الأمير الروسى وعبر الدانوب وهزم البلغار ، ولكنه رفض العودة =

تزيمسكس John Tzimisces (٩٦٩ – ٩٧٦) استطاع الجيش البيزنطى هزيمة الروس وطردهم من البلقان[١٣٠] • ولم تعترف بيزنطة ببلغاريا ، بل قامت بضم دولة بلغاريا الى الكيان الامبراطورى • وتبع ذلك الغاء استقلال الكنيسة البلغارية[١٣١] •

ان ما أنجـزته الحكومة البيزنطية فى عهـد الامبراطـور يوحنا تزيمسكس فى بلغاريا ، اقتصر على القســـم الشرقى من بلغاريا اما القسم الغربى الذى يضم غرب مقدونيا فقد كان بعيدا عن كل هـذه الأحداث • وأدى ضم شرق بلغاريا الى الكيان الامبراطورى الى انتقال مركز دولة البلغار الى غرب مقدونيا بالقرب من اقليم سالونيكا واقاليم اليونان • وحين اندلعت ثورة البلغار فى غرب بلغاريا بقيادة صـموئيل Samuel سـنة ٩٧٦م ، شـكلت بلغاريا تهـديدا أكبـر من ذى قبل للسيادة البيزنطية على أقاليم اليونان • وكان مركز دولة صموئيل فى غرب مقدونيا فى برســـبا Prespa أولا وبعـد ذلك فى أوخريد Ochrid[١٣٢] وكان هـذا يعنى أن بلغاريا تسـتطيع ضرب الأقاليم الحيوية للامبراطورية فى اليونان وعلى ساحل البحر الادرياتى • ولاشك ان صموئيل البلغارى استفاد من انشغال الحكومة البيزنطية بالتصـدى للثورات الداخلية فى آسيا الصغرى خلال السنوات الثلاث عشرة الأولى

الى بلاده بعد أن أدى المهمة . وأدرك نقفور فداحة الخطأ الذى ارتكبه . وبعد مقتل نقفور فوقاس سنة ٩٦٩ ، أعتلى يوحنا تزيمكس العرش البزنطى وأصبح عليه تسوية خطأ سلفه . انظر :

Browning, **Bulgaria**, 70-72; Ostrogorsky, **State**, 259; Obolensky, **Commonwealth**, 128.

(١٣٠) وسام : دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، جـ١ ، ص٢٨٦ — ٢٨٨ .

131) Browning, **Bulgaria**, 72-73; Ostrogorsky, **State**, 262-263; Obolensky, **Commonwealth**, 129-131.

132) Obolensky, **Commonwealth**, 131.

من حكم الامبراطور باسيل الثانى ، كما استفاد من انضمام بعض العناصر السلافية المستقرة فى أقاليم اليونان اليه • واستطاع البلغار استرداد مدينتى بليسكا وبرسلاف فى شرق بلغاريا ، ثم اجتاح البلغار أقاليم اليونان وشبه جزيرة البلوبونيز ونجحوا فى الاستيلاء على بعض المدن والمراكز البيزنطية ولكن محاولات الاستيلاء على سالونيكا باءت بالفشل •

وأمام هذا الخطر الداهم استخدم الامبراطور باسيل الثانى كل موارد الامبراطورية فى حرب طويلة من أجل تدمير تلك الدولة القوية التى أراد صمويل اقامتها • وبعد الانتصار الساحق الذى حققه الامبراطور على البلغار فى المعركة الفاصلة من أجل السيادة على مقدونيا والتى وقعت فى ٢٩ من يوليو سنة ١٠١٤ ، توفى القيصر صمويل• وواصل الامبراطور الاستيلاء على معاقل البلغار • وانتهت الحرب بانتصار باسيل الثانى سنة ١٠١٨ ودخل الامبراطور مدينة اوخريد Ochrid عاصمة الدولة البلغارية ، وهناك استسلم له كل من تبقى على قيد الحياة من أفراد أسرة صمويل • وهكذا انتهى أعنف صراع شهدته شبه جزيرة البلقان فى العصر الوسيط ، فبعد حرب دامت قرابة الثلاثين عاما استردت بيزنطة سيادتها كاملة على شبه جزيرة البلقان بعد أن قضت على دولة البلغار •

وبضم بلغاريا الى الكيان الامبراطورى ، تحولت أراضيها الى أقاليم بيزنطية سرعان ما طبق عليها نظام الثيمات ، كما أصبح سكانها رعايا امبراطور القسطنطينية(١٣٣) • ولكن هذا لم يكن يعنى العودة الى عصر

---

(١٣٣) قامت الادارة البيزنطية بتقسيم أقاليم دولة البلغار الى ثيمات جديدة هى : ثيم بلغاريا وقاعدته سكوبلج Skoplje فى غرب مقدونيا . ثيم باريستريون Paristrion (ويعرف أيضا باسم Paradunavon) ويضم الاقليم الممتد بين الدانوب الأدنى وجبال البلقان وقاعدته سيلسترا =

جستنيان قبل الغزو السلافى للبلقان ، فوجود بلغاريا فى شبه جزيرة البلقان فى الفترة من ٦٨١م وحتى سنة ١٠١٨م أحدث تغيرا فى البلقان وترك آثارا • كذلك يجب ألا ننسى أن الحكومة البيزنطية بعد استرداد سيادتها على البلقان سنة ١٠١٨ أبقت أقاليم الصرب والكروات فى ظل حكم امرائها المحليين الذين اعترفوا بسيادة الامبراطور •

ولكن القضاء على دولة البلغار كان له نتيجة ايجابية وهامة ، لقد تأكد بهذا العمل نجاح الجهود البيزنطية بالنسبة لامتصاص العناصر السلافية فى أقاليم اليونان فى المجتمع البيزنطى • فلم تعد هناك قوة سلافية يستطيع السلاف الاتجاه اليها • وعلى هذا فان الانصهار النهائى للعناصر السلافية المستقرة فى أقاليم اليونان والبلوبونيز قد اكتمل بعد سنة ١٠١٨ • أما بالنسبة للاقاليم التى كانت تشكل دولة بلغاريا فان هذا التطور لم يحدث • ويمكن القول ان الحدود الجنوبية لدولة البلغار فى عهد القيصر سيمون ظلت تشكل الحد الشمالى للسان اليونانى • ورغم أن بلغاريا أصبحت ولاية بيزنطية منذ سنة ١٠١٨ وحتى نهاية القرن الثانى عشر ، الا أن البلغار احتفظوا بلغتهم السلافية ، واشعارهم وأساطيرهم وأغانيهم وتقاليدهم وأسلوب حياتهم وذكريات ماضيهم[١٣٤] • حقيقة لقد حدث تزاوج بين عائلات الارستقراطية البلغارية والعائلات البيزنطية ، ولكن هذا كان على نطاق ضيق • ورغم أن اللغة اليونانية كانت معروفة فى مدن بلغاريا طوال فترة الحكم

= Silistria على نهر الدانوب • ثيم سيرميوم Sirmium فى أقصى الشمال وقاعدته سيرميوم على نهر السافا Sava ، وربما ضم مدينة بلجراد Belgrad التى تقع عند ملتقى الدانوب بنهر السافا • كذلك قامت الحكومة البيزنطية بتدعيم ثيم دالماشيا باضافة الاقليم الخلفى له • بالنسبة لاقاليم الصرب والكروات فقد أبقى باسيل الثانى عليها تحت حكم امرائها المحليين فى ظل السيادة البيزنطية • انظر :

Ostrogorsky, **State**, 276-277; Obolensky, **Commonwealth**, 209-210.

134) Browning, **Bulgaria**, 76.

البيزنطى ، الا أن الزائر البيزنطى لولاية بلغاريا كان يدرك على الفور أنه فى أرض أجنبية لأن أهلها يتكلمون لغة أجنبية .

لقد نجحت الحكومة البيزنطية بعد جهد كبير ووقت طويل فى علاج أزمة الغزو السلافى واستردت سيادتها كاملة على شبه جزيرة البلقان ، الا أن صورة البلقان فى مطلع القرن الحادى عشر ظلت مختلفة عن صورته فى مطلع القرن السـادس الميلادى .

قائمة

المصادر والمراجع والمختصرات

AASS : Acta Sanctorum. Antwerp 1643 ff.

AHR : American Historical Review.

An Boll : Analecta Bollandiana. Bruxelles 1882 ff.

Angelov, **Formation** : D. Angeliv, «Formation and Development of of the Bulgarian Nationality : Ninth to Twelfth Centuries», **BHR**, 1 (1973), 49-64.

AUS : Annuaire de l'Université de Sofia. Faculté de Philosophie et Histoire.

Barisic, **Miracles de St. Démétrius** :
F. Barisic, **Miracles de St. Démétrius comme Source historique** (Belgrade, 19953).

Barasic, **Siège de Constantinople** : F. Barisic, «Le siège de Constantinople par les Avares et les Slaven en 626», **B**, 24 (1954), 371-395.

Besevlier, **Inschriften** : V. Besevliev, **Die Protobulgarischen Inschriften** (Berlin, 1963).

Besevliev, **Konstantine V** : V. Besevliev, «Die Feldzüge des Kaisers Konstantine V gagen die Bulgaren», **EB**, 7/III (1971), 5-17.

BHR : Bulgarian Historical Review.

Bon, **Le Péloponnèse** : A. Bon, **Le Péloponnèse Byzantin Jusqu'en 1204** (Paris, 1951).

Browning, **Bulgaria** : R. Browning, **Byzantium and Bulgaria. A Comparative Study Across the Early Medieval** Frontir (London, 1975).

BS : Balkan Studies.

BSI : Byzantinoslavica. Prague 1929 ff.

Burmov, **Les Sièges de Thessalonique**: A. Burmov, «Les Sièges de Thessalonique par les Slaves dans Miracula Sancti Demetrii Martyris et leur chronologie», AUS, 47 (1952), 167-215.

BZ : Byzantinische Zeitschrift. (Leipzig) München 1892 ff.

Cameniates, **De Exp.** : **Ioannis Caminiatae de Expugnatione Thessalonicae**, ed. G. Boehlig (Berlin, 1973).

Charanis, **Capture of Cornith** : P. Charanis, «On the Capture of Cornith by the Onogurs and its recapture by the Byzantines», **Speculum**, 27 (1952), 343-350.

Charanis, **Demography** : P. Charanis, « Observations on the Demography of the Byzantine Empire", **Proceedings of the XIII International Congress of Byzantine Studies** (Oxford, 1966, 445-463.

Charanis, **Ethnic Changes** : P. Charanis, «Ethnic Changes in the Byzantine Empire in the Seventh Century», **DOP**, 13 (1959), 23-44.

Charanis, **Hellas** : P. Charanis, «Hellas in the Greek Sources of the Sixth, Seventh and Eight Centuries», in : K. Weitzman (ed.), **(Late Classical and Medieval Studies in Honor of A.M. Friend** (Princeton, 1955), 161-176.

Charanis, **Hellenization** : P. Charanis, «On the Question of the Hellenization of Sicily and Southern Italy during the Middle Ages», **AHR**, 52 (1946), 74-87.

Charanis, **Monemvasia** : P. Charanis, «The Chronicle of Monemvasia and the Question of the Salvonic Settlements in Greece, **DOP**, 5 (1950), 141-166.

Charanis, **Monk** : P. Charanis, «The Monk as an element of Byzantine Society», **DOP, 25 (1971), 63-84.**

Charanis, **Observations** : P. Charanis, «Observations on the History of Greece during the Early Middle Ages, **BS**, 11/1 (1970), 1-34.

Charanis, **Slavonic Settlements** : P. Charanis, «On he Question of the Slavonic Settlements in Greece during the Middle Ages» **BSI**, 10 (1949), 254-258.

Charanis, **Thessalonica** : P. Charanis, «Kouver, the chronology of his activities and their ethnic effects on the regions around Thessalonica», **BS**, 11/2 (1970), 229-247.

DAI :Constantine Porphyrogenitus, **De Administrando Imperio**. Vol. I. Greek text ed. G. Moravcsik. English translation by. H. Jenkins (Budapest, 1949); Vol. II. Commentary, ed. R. Jenkins (London, 1962).

Delehaye, **Recueils Antiques** : H. Delehaye, «Les Recueils Antiques de Miracles des Saints», **An Boll**, 43 (1925), 57-64.

De Thematibus : **Constantino Porfirogenito De Thematibus**, ed. with commentary A. Perfusi (Citta' Del Vaticano, 1952).

Doelger, **Einsiedlung** : F. Doelger, **Ein Fall slavischer Einsiedlung im Hinterland von Thessalonike im 10. Jahrhundert** (Muenchen, 1952).

DOP : Dumbarton Oaks Papers. (Cambridge/Mass). Washington 1941 ff.

Dujcev, **Die Responsa** : I. Dujcev, «Die Responsa Nicolai I. Papae ad Consulta Bulgarorum als Quelle für die bulgarische Geschichte», **FHHS, I** (1959), 349-362.

Dujcev, **L'Etat Bulgare** : I. Dujcev, «La Formation de l'etat Bulgare et de la Nation Bulgare», in : **L'Europe aux IX-X Siècles. Aux Origines des Etats nationaux** (Varsavie, 1968), 205-224.

Dujcev, **Mont Athos** : I. Dujcev, «Le Mont Athos et Les Slaves au Moyen Age», **EM**, 2 (1964), 121-144.

Dujcev, **Moravia** : I. Dujcev, «L'Activité de Constantin Philosophe-Cyrille en Moravie», **BSI**, 24 (1963), 219-228.

Dujcev, **Serbes** : I. Dujcev, «Une Ambassade Byzantine auprès des Serbes au IX siècle», **KRSAN**, 7 (1961), 53-60.

Dvornik, **Byzance** : F. Dvornik, **Les Slaves, Byzance et Rome au IX Siècle** (Paris, 1926).

Dvornik, **Décapolite** F. Dvornik, **La Vie de Saint Grégoire le Décapolite** (Paris, 1926).

Dvornik, **Les Légendes** : F. Dvornik, **Les Légendes de Constantin et de Méthode vues de Byzance** (Prague, 1933).

Dvornik, **Photius** : F. Dvornik, «The Uatriach Photius in the light of recent research», **Berichte zum XL. International en Byzantinisten Kongress** (München, 1958), Vol. III/2, 1-56.

Dvornik, **Schisme** : F. Dvornik, **Le Schisme de Photius, Histoire et Legende** (Paris, 1950).

Dvornik, **The Slavs** : F. Dvornik, **The Slavs. Their Early History and Civilization** (Boston, 1956).

ÉB : Etudes Balkaniques.

ÉM : Etudes et Mélanges. Venezia-Cheretogne.

Ferluga, **Dyrrachium** : J. Ferluga, «Sur la date de la Création du thème Dyrrachium», **Actes du XII Congrès International d'Études Byzantines** (Ochride, 1961), Tome II, 83-92.

FHHS : Festschrift des Haus —, Hof - und Staatsarchivs (Wien) 1949 ff.

Georgacas, **Slavic Groups** : D.J. Georgacas, «The Medieval Names Melingi and Ezeritae of Slavic Groups in the Peloponnesus», **BZ**, 43 (1950), 301-333.

Grégoire, **Justinien II** : H. Grégoire, «Un édit de l'empereur Justinien II date de Septembre 688», **B**, 17 (1944-45), 119-124.

Grégoire, **L'Origine** : H. Grégoire, «L'Origine et le Nom des Croates ed des Serbes», **B**, 17 (1944-45), 88-118.

Hauptmann, **Les Slaves et les Avares** : L. Hauptmann, «Les Rapports des Byzantins avec les Slaves et les Avares Pendant la seconde moitié du VI siècle», **B**, 4 (1927-28), 137-170.

Hussey, **Byzantine Monasticism** : J. Hussey, «Byzantine Monasticism», in : **The Cambridge Medieval History**, IV/Pt. 2 (1967), 161-184.

Hussey, **World** : J. Hussey, **The Byzantine World** (London, 1961).

John of Ephesus (Smith) : **The Third part of the Ecclesiastical History of John of Ephesus**, ed. and trans. R. Payne-Smith (Oxford, 1860).

Karayannopulos, **Peloponnes** : J. Karayannopulos, «Zur Frage der Slavenansiedlungen auf dem Peloponnes», **RESEE**, 9/1 (1971), 443-460.

Laurent, **Saint-Demetrius** : V. Laurent, «Sur la date des Églises saint-Demetrius et Saint-Sophie à Thessalonique», **BZ**, 4 (1895), 420-434.

Lemerle, **Anciens Recueils** : P. Lemerl, **Les Plus Anciens Recueils des Miracles de Saint Démétrius et la Pénétration des Slaves dans les Balkans** (Paris, 1979, 1981), 2 Vols.

Lemerle, **Chron. Monemvasie** : P. Lemerle, «Le chronique improprement dite de Monemvasie : Le Contexte Historiqu et Legendaire», **REB**, 21 (1963), 5-49.

Lemerle, **Invasions** : P. Lemerle, «Invasions et Migrations dans Les Balkans depuis la Fin de l'Époque Romaine jusqu'au VIII siècie», **RH**, 211 (1954), 265-308.

Lemerle, **La Composition** : P. Lemerle, **La Composition et la Chronologie des deux Premiers livres des Miracula S. Demetrii»**, **BZ**, 46 (1953), 349-361.

Lemerle, **Macédonie** : P. Lemerle, **Philoppes et la Macédoine Orientale à l'Époque Chrétienne et Byzantine. Recherches d'Histoire et d'Archéologie** (Paris, 1945).

Maurice, **Strategikon Mauricius Arta Militara**, ed. H. Mihaescu (Bucuresti, 1970).

Michel le Syrien : **Chronique de Michel Le Syrien**, ed. J.B. Chabot (Paris 1899-1905), 3 Vols.

Miracula Sancti Demetri, AASS : Miracula Sancti Demetri, in : **AASS**, Oct. 8, vol. IV, 104 to 197.

Miracula Sancti Demetri, PG : Miracula Sancti Demetri, in : Migne, **PG**, vol. 116, Cols. 1174-1384.

Monemvasias Chronikon : **To Peri tes Ktiseos Monemvasias Chronikon**, ed. A. Bees (Athens, 1909), 37-105. [= Byzantis, I (1909)].

Moravcsik, **Byzantinoturcica** : G. Moravcsik, **Byzantinoturcica** (Berlin, 1958), 2 Vols.

Nicephorus : **Nicephori Archiepiscopi Constantinopolitani Opuscula** Hstorca, ed. C. De Boor (Leipzig, 1880).

Obolensky, **Byzantine Slav Relations** : D. Obolensky, «The Cult of St. Demetrius of Thessaloniki in the History of Byzantine-Slav Relations», **BS**, 15 (1974), 3-20.

Obolensky, **Commonwealth** : D. Obolensky, **The Byzantine Commonwealth. Eastern Europe : 500-1453** (London, 1971).

Oikonomidès, **Cephalonie** : N. Oikonomidès, «Constantin VII Porphyrogénète et les thèmes de Céphalonie et de Longobardie», **REB**, 23 (1965), 118-123.

Oikonomidès, **Préséance** : N. Oikonomidès, **Les Listes de Préséance Byzantines des IX et X Siècles** (Paris, 1972).

Ostrogorsky **Staaten-hierarchie** : G. Ostrogorsky «Die byzantinische Staatenhierarchie», **SK**, 8 (1936), 41-61.

Ostrogorsky, **State** : G. Ostrogorsky, **History of the Byzantine State**, trans. J. Hussey (New Brunswick, 1957).

Ostrogorsky, **World Order** : G. Ostrogorsky, « The Byzantine Emperor and the Hierarchical World Order», **SEER**, 35 (1956-57), 1-14.

Photius, **Epistola** : «Photii Sanctissimi Patrarchae Constantinopolitani Epistola ad Michaelem Bulgariae Principem; de Officio Principis», in : Migne, **PG**, Vol. 102, Cols. 627-696.

REB : Revue des Étude Byzantines. (Paris) 1946 ff.

RESEE : Revue des Études Sud-Est Européennes.

PH : Revue Historique.

SEER : Slavonic and East European Review.

Seibt, **Die Ekleroi** : W. Seibt, **Die Skleroi. Eine Prosopographisch-Sigillographische Studie** (Wien, 1976).

SK : Seminarium Konda Kovianum. Recueil d'Études Archéologie, Histoire de l'Art, Études Byzantines.

Tapkova-Zaimova, **Le Colonisation** : V. Tapkova-Zaimova, «Sur Quelques aspects de la Colonisation Slave en Macédoine et en Gréce», **EB**, I (1964), 111-123.

Theophanes : Theophanis Chronographia, ed. C. De Boor (Leipzig, 1883-1885), 2 vols.

Theophanes Cont. : **Theophanes Continuatus, Ioannes Cameniata, Symeon Magister, Georgius Monachus**, ed. I. Bekker (Bonn, 1838), 1-481.

Theophylactus Simocatta : **Theophylacti Simocattae Historiae**, ed. C. De Boor (Leipzig, 1887).

Tougard, **L'Histoire Profane** : A. Tougard, **De l'Histoire Profane dans Les Actes Grecs des Bollandistes** (Paris, 1874).

Vasmer, **Die Slaven** : M. Vasmer **Die Slaven in Griechenland** (Berlin, 1941).

Vlasto, **Christendom** : A. Vlasto, **The Entry of the Slavs into Christendom.** An Introduction to the Medieval History of the Slavs (Cambridge, 1970).

ZRSAN : Zbornik Oadova Srpske Akademie Nauka. Vizantoloski Institut.